اقرأ

سلسلة ثقافية شهرية

الدكتور حسن على

كونصلتو مصري للثقافة العربية





كونصلتو مصري
للثقافة العربية



الدكتور حسن على

كونصلتو مصرى للثقافة العربية

إن الذين عنوا بإنشاء هذه السلسلة ونشرها ، لم يفكروا إلا فى شىء واحد ، هو نشر الثقافة من حيث هى ثقافة ، لا يريدون إلا أن يقرأ أبناء الشعوب العربية . وأن ينتفعوا ، وأن تدعوهم هذه القراءة إلى الاستزادة من الثقافة ، والطموح إلى حياة عقلية أرقى وأخصب من الحياة العقلية التى نحياها .

طه حسين

بين يدى القارئ

هذه أحاديث إذاعية أجريتها فى شتاء ١٩٨٣ م بتكليف من الإذاعة المصرية (الشبكة الرئيسية). وقد دارت هذه الأحاديث مجتمعة حول قضية جوهرية، وهى (ثقافتنا)، وما أسباب هذا الانحسار؟ وما الحلول المقترحة؟

كانت الرحلة صعبة.

– صعب جدًّا أن تتكلم فى الثقافة، وهى مصطلح تختلف عليه كل لُغات الأرض، وخلاف العلماء فيه كثير.

– وصعب كذلك أن تجلس إلى كبار مفكرى مصر، هؤلاء العمالقة.. تحاورهم، وتفتح معهم آفاقًا ورؤى.

– وصعب أن تواجه الناس بحقيقة مؤلمة، وواقع حزين وجدته مجسدًا بالأرقام فى أحد تقارير «اليونسكو» عن حركة النشر فى العالم العربى وعن وسائل الإعلام والاتصال، وكان هذا التقرير هو نقطة البداية.

* ذهبت إلى مفكرنا الكبير د. زكى نجيب محمود، والرجل له وزنه وفكره.. أحجم فى البداية، امتنع عن الحديث حين عرف أننى إذاعى؛ قال: «إن الإذاعة تحرف الكلم» – يقصد المونتاج الذى يشوه المعانى، ويضيع المقصود من القول – وبعد عناء وافق على الحديث بشرط ألا

تحذف منه كلمة واحدة. ثم قال: «إن الدافع الأكبر للحديث معك هو خطورة الموضوع»، وقال: «إن الإذاعة والتليفزيون لم يعرفا بعد دورهما الثقافى، ولعل حوارك هذا بداية».

وتحدث الرجل، وحرصت على أن لا أتدخل أو أقاطع ما دام كلامه فى صلب الموضوع.

وفى حوارى معه فجر أخطر قضية - مناهج التعليم فى مصر - إنه يرفضها، ويصفها بالجناية.

هذا الرجل يرى أن القراءة قدرة.. ملكة.. هبة؛ فليس كل إنسان قارئ قادرا.

* وترجم هذا الكلام د. يوسف إدريس فى حوارى معه بـ «الأهرام» حين قال: «إنّ القراءة إبداع، وثقافتنا لا يمكن أن تعود إلى شبابها إلا إذا توفر لنا القارئ المبدع المتذوق».

* وعرفتنا الدكتورة سهير القلماوى كيف يتكون القارئ القادر المبدع؟ قالت: «البداية فى الأسرة وقبل المدرسة، أن نغرس فى وجدان أطفالنا حبّ القراءة؛ لأن القراءة تحتاج إلى صبر.. إلى قوة احتمال.. إلى خيال لا يقل عن خيال الأديب. هذه هى القراءة المبدعة».

وتشترك الدكتورة سهير القلماوى مع الدكتور زكى نجيب محمود فى اتهام موجّه للتعليم وللمناهج الدراسية، فكلاهما يرى أن نظم التعليم الآن لا تصلح، وأنها حجر عثرة فى طريق نهضة ثقافية.

وكانت المأساة حقًّا حين قال لى الأستاذ نجيب محفوظ: «إن فى مصر

(١٣) جامعة، ومئات الآلاف من الخريجين كل عـام.. ولا أوزع - فى أحسن الأحوال - أكثر من ثلاثة آلاف نسخة من الرواية الواحدة».

ويجىء كلٌّ من جمال بدران، وأحمد بهاء الدين، وكلاهما يضع يده على حجر الزاوية فى ثقافتنا.. على الكتاب، ويرى بهـاء الدين أن نهضتنـا الثقافية لن تكون على ما يرام فى ظل قوانين بالية تعطل الكتاب، وتذبح المؤسسات المعنية بنشره، وتضيع جهد الناس.

ويرى جمال بدران أن النشر حرفة لها أهلها، وأن الدخلاء - يعنى التجار - يوم دخلوا عالم النشر ضاع الكتاب، وحق المؤلف. وفى غياب الكتاب الحقيقى -وليس كتب الجنس- والغرائز غيابٌ لوعاء الثقافة.

ويضع جمال بدران يدنـا على القضيـة فيقول: «فكـوا الكتاب من قيوده؛ وسيعود الكتاب المصرى رائدًا وسفيرًا لمصر فى العالم كله، وفى البلاد العربية خاصة».

أما الكاتب الكبير يحيى حقّى فيقول: «اللغة وعاء الثقافة، ولغتنا صعبـة، ونحن لم ننجح فى أسلوب يعلم الشبـاب الفصحى الصحيحة، ويجعلهم يحبونها، وحسبك قـواعد النحـو، والإملاء، فيهـا كل عجيب وغريب».

وتلتقى د. سهير القلماوى مع يحيى حقى فى هذه النقطة، حيث ترى الدكتورة سهير أن اختيار النصوص الأدبية للتلاميذ يتعمد فيه النصوص الصعبة مع وجود نصوص سهلة جميلة تحبب الطفل فى الأدب واللغـة، ولكن سوء الاختيار للنصوص يجعل الأطفال يكرهون اللغة ويكرهون الثقافة.

أما نعمان عاشور فيرى أن المسرح هو الأصل فى كل ثقافة، لأنه يجمع كل الفنون، وقال: «إذا أردت أن تعرف مشكلاتنا الثقافية فناقش مشكلات المسرح وحال المسرح فى مصر».

ويلتقى الدكتور عز الدين إسماعيل، والأستاذ عبد الرحمن الأبنودى، والدكتور زكى نجيب محمود حول مشكلة النقد؛ فيرى الدكتور زكى «أن النقد قدرة، وأن الناقد القادر غير موجود، وهذه وحدها مأساة».

ويرى الأبنودى أن النقد غائب، وتركت الساحة للصحافة. ومع احترامه للصحفيين فإنهم ليسوا نقادًا متخصصين، وكلامهم ربما صدر عن هوى !!

أما عبد الرحمن الشرقاوى فيرى أن الحل فى الاهتمام بالطفل وثقافته، ويرى أن الحكومة وحدها لن تصنع شيئًا، وأن حل مشكلات الثقافة فى أيدى المثقفين. وضرب مثالا بالزيات، والعقاد، وطلعت حرب.

وبعد ،

فإننى أضع بين يدى القارىء هذه الأحاديث كما هى، لم أتدخل فيها. وحرصت على إثبات كل الآراء مجتمعة، وآمل أن يعمل القارىء فكره، وأن يبحث معنا عن مخرج من هذا النفق المظلم الذى غابت فى ظلماته ثقافتنا.

وكلمة أخيرة أقولها : « خطأ كبير أن توجه حكومتنا كل الإهتمام للمشكلة الاقتصادية وحدها، لأنه لن يكون هناك تقدم اقتصادى فى ظل تخلف ثقافى.

إن معالجة المشكلة الاقتصادية وحدها، واستحواذها على كل هذا الاهتمام بمعزل عن القضايا الأخرى خطأ سوف نعرفه بعد حين.

الدكتور حسن على

الجيزة فى ١٩٩١/٧/١٥

قراءة فى واقعنا الثقافى

واقعنا الثقافى بالأرقام

أصدرت «اليونسكو» تقريرًا فى عام ١٩٨٣ عن الأوضاع الثقافية فى العـالم، وحين قـرأت الجزء الخـاص بالـوطن العربى أصـابتنى رعدة.. دهشة.. هل هذا فعلا جزء من واقعنا الثقافى ؟ كانت الأرقام كطلقات الرصاص .. قاتلة ..

فمثلا فى حركة النشر فى العالم العربى

أصدر عام ١٩٦٠	٣٧٠٠ عنوان
وفى عام ١٩٨٣	٧٠٠٠ عنوان

ومع أن مجموع السكان الآن يزيد على مائتى مليون نسمة فى منطقتنا العربية، إضافة إلى العرب فى المهجر والمعنيين بالثقافة العربية عمومًا فى كل أنحاء العالم.

ووجدتنى أقلب صفحات التقرير بسرعة أبحث عن نسبة هذا الإنتاج إلى الإنتـاج العالمى، فـإذا بنسبة الإنتـاج العـربى من الكتب - أمـة ﴿اقرأ..﴾ [أول سورة العلق] - فى عام ١٩٦٠ هى (١,١٪) من الإنتاج العالمى. وفى عام ١٩٨٣ بلغت (٠,٩٪) وصرنا أسوأ حالاً عن ذى قبل.

ثم قلّبت صفحات التقرير، فوجدت أن معدل حوالى ٤٠ عنوان لكل

مليون عربى مقابل ١٤٤ لكل مليون فى غير العرب، فى عام ١٩٦٠. وينخفض هذا المعدل إلى ٣٨ لكل مليون عربى مقابل ١٦٥ فى العالم فى عام ١٩٨٣. فتأمل !![(١)]

وفى مجال الصحافة، فإن توزيع الصحف فى العالم العربى ٣٣ نسخة لكل ألف فى سنة ١٩٨٩، وفى عام ١٩٨٩ أيضًا أنتج الوطن العربى (١,١٪) من الكتب فى العالم، فى حين بلغ سكانه ٣,٣٪ من سكان العالم[(٢)].

أما السينما فبلغ عدد قاعات العرض السينمائى فى عام ١٩٨٣ (١٤٠٠ دار عرض) مقابل ٢٣٨,٩٩٩ فى العالم.

وإذا كانت الأرقام السابقة تحمل معنى واحدًا، هو أننا تخلفنا عن عالمنا المعاصر فى حركة الإبداع والتأليف والنشر كما توضح الأرقام السابقة، فإن لدينا قدرًا لا بأس به من المؤسسات الثقافية الرائدة، وثروة لا تقدر، بمال من المراكز والمتاحف، والمخطوطات، وهى جميعها غير مستثمرة الاستثمار الذى يهيئ لنا بعثا ثقافيا جديدًا.

فهناك فى عالمنا العربى (٢٠٩) متاحف، و(٨٠) مدينة تستحق العناية الأثرية، وحوالى (١٢٣٠) مكتبة عامة، وما يزيد على ربع المليون مخطوط، و(١٣) مركزًا للوثائق، و(٩٢) للفنون التشكيلية ما بين معهد وجمعية ونقابة.

---

(١) راجع تقارير اليونسكو لعام ١٩٨٣، والتقرير المسمى بحق الاتصال الصادر عن بغداد فى ١٩٨٣.

(٢) محمود كامل: الفراغ الثقافى والإعلامى فى الوطن العربى، مجلة الوحدة العدد ٥٤/١٩٨٩ ص ١٣.

كذلك لدينا (١٦٨) مسرحًا تستوعب حوالى (٣٠) ألف متفرج (ثلث هذه المسارح فى مصر، ويعمل فى هذه المسارح (١١٩) فرقة[١].

ولدينا كذلك (٨٣٦) دارًا للسينما، و(٢٥) مركزًا للفنون الشعبية، و(٢٠٠) فرقة موسيقية (بما فيها المعاهد والنقابات) مع (٢٣٤) مختصًا بالموسيقى، وسبع مدارس للخط العربى، ومعهد للسينما.

وثمة مراكز للبحوث العلمية فى (١٢) دولة عربية، (٥) مجامع علمية ولغوية، و(١٧) رابطة للأدباء، و(١١) نقابة للصحفيين، وجميع الدول العربية تمتلك محطات للإذاعة والتليفزيون، ووكالة أنباء، ومحطات استقبال للأقمار الصناعية، وتبلغ ساعات البث اليومى فى بعض الإذاعات ستين ساعة.

تبلغ نسبة البرامج الثقافية فى التليفزيون ما بين (٥ - ٣٠٪) (تختلف حسب ظروف كل دولة، وإمكاناتها الفنية، وتوفر الكوادر البشرية).

كما تبلغ نسبة البرامج الثقافية فى الراديو ما بين (١٠ - ٣٠٪).

أما عدد الجامعات فيصل إلى (٨٥) جامعة فى جميع الدول العربية، منها (١٣) جامعة فى مصر وحدها[٢].

أما نسبة الأمية فهى تتراوح ما بين (٤٠ - ٩٨٪) فى العالم العربى.

هذه الصورة الإحصائية أقدمها فى بداية هذا الكتاب لأن الأرقام

---

(١) راجع الجزء الرابع من تقرير لجنة الخطة الشاملة للثقافة العربية، الكويت ١٩٨٧.

(٢) شاكر مصطفى: عالم الثقافة المختلفة، مجلة عالم الفكر، العدد الأول، أبريل ١٩٨٨، ص (٣٤).

لا تعرف التحيز، ولا تجنح إلى المبالغة أو الهوى، إنما هى واقع نحياه. ويكفى أن نعلم أن العديد من الآثار فى العالم العربى مهددة رغم العناية المبذولة، وأن كتلة من المخطوطات العربية ليست فى البلاد العربية، ولكنها موزعة بين باريس، ولندن، وروما، وإستانبول والهند، وألمانيا، تكاد حركة النشر بالنسبة لهذه المخطوطات تشرف على الهلاك.

وإذا كانت الصحافة منتشرة فهل فعلا تقدم الصحافة ثقافة؟

وأين حاجز الأمية القاتل حتى وإن قدمت الصحافة شيئًا من الثقافة؟

قد يرد على هذا التساؤل بوجود (الراديو) لكن يبرز هنا سؤال آخر:

هل تسهم كل من الإذاعة والتليفزيون فعلا فى إثراء حياتنا الثقافية؟

لعلك - أخى القارئ - واجد - إن شاء الله - ردودًا غير متوقعة فى هذا المجال، خاصة من الدكتورة سهير القلماوى والدكتورة نعمات فؤاد وكلاهما تضع الراديو والتليفزيون فى قفص الاتهام بالدليل والبرهان.

وهناك حقيقة مروعة لا يفوتنى الإشارة إليها فى هذا العرض لواقعنا الثقافى، وهى أن تمويل الشئون الثقافية فى البلاد العربية يقوم على عاتق الحكومات وحدها تقريبًا، وأن هذه الحكومات لا تخصص لتمويل النشاط الثقافى أكثر من ٠,٥٪ إلى ٠,٧٪ تقريبًا من ميزانياتها[١].

ولا شك أن هذا الفقر فى التمويل الثقافى قد يفسر لنا جانبًا من الفقر الثقافى الذى تشكو منه حياتنا الثقافية.

أما عن الحركات الفكرية فى عالمنا العربى فإنك لن تجد تيارًا واحدًا

---

(١) شاكر مصطفى: المصدر السابق، ص (٣٥).

يعبر عن الذاتية الثقافية العربية، فهناك تيارات متناقضة متحاربة، تضيع الوقت والجهد والمال فى محاربة بعضها البعض.

فعلى الساحة الآن تيار إسلامى سلفى، وتيار جهادى، وتيار شيوعى، وتيار علمانى.. و.. و.. إلخ.

وهناك - كما يقول الدكتور زكى نجيب محمود - من يريد أن يشدنا إلى الوراء، ولا يرى صلاحًا ولا نجاحًا إلا فى كل ما هو تراثى، نأخذه كما هو، ونعود إليه.

وهناك تيار آخر مستغرب يشدنا إلى الغرب ولا يرى صلاحًا ولا نجاحًا إلا فيما هو عكس ذلك، ولا يرى فى الماضى إلا تخلفًا وجهلاً، وأن العلم والحضارة فى الغرب، وأن الخلاص من أزمتنا الحضارية لن يكون إلا فى التمسك بما لدى الغرب.

ولسوف ترى - أخى القارئ - العديد من الآراء ووجهات النظر تحلل وتعالج وتناقش أزمتنا الثقافية. حرصت على أن أجمع هذه الرؤى المتباينة ينتمى أصحابها إلى مدارس متعددة، ولكل وجهة هو موليها.

والحقيقة أننى خرجت من هذه المناقشات وتلك الأحاديث الإذاعية مع أعلام الفكر فى مصر بحقيقة مؤداها أن المشكلة الحقيقية التى تعانى منها ثقافتنا العربية هى هذا العصر الذى نعيشه بإيقاعه السريع، بمخترعاته الحديثة، بصراعاته الوحشية، بثورة المعلومات المذهلة، وتكنولوجيا الكومبيوتر.

والحق أقول: إذا لم نتدارك الأمر ونسعى إلى حل لمشكلاتنا الثقافية،

وإلى فهم لطبيعة هذا العصر، فإن فرصتنا فى اللحاق بركب الحضارة فى عصرنا هذا سوف تزول إلى مدة طويلة، وستكون الخسارة أفدح مما نظن أو نتخيل.

صدقونى ليست هذه أحاديث إذاعية عادية، إنها ناقوس خطر يدقه هؤلاء المفكرون، إنهم عقل وضمير هذه الأمة، وعلى المسئولين عن حركة النشر والثقافة والإبداع فى حكوماتنا العربية أن يستمعوا، وليس عليهم غير سرعة الاستجابة، فلقد تحرك القطار.. والله وحده يعلم متى نلحق بآخر عربة فى قطار هذا العصر!

يحيى حقى

«ثقافتنا فى خطر والأمية رأس المشكلة»

يحيى حقى من جيل الرواد فى حياتنا الثقافية بإنتاجه الفكرى، ومشاركاته الواعية، وكتاباته المتنوعة المختلفة وقبل أن أقابله اتصلت به تليفونيًا[1]:

● أستاذنا يحيى حقى! نحن نجرى استفتاءً لكبار المفكرين، والكتاب حول أهم المشكلات التى تواجه حياتنا الثقافية، ولا يمكن أن نجرى هذا الاستفتاء بدون أن يكون لك رأى فيه.

– يا سيدى لا أستطيع الآن. وأكبر مشكلة فى حياتنا الثقافية أنتم.. الإذاعة والتليفزيون!!

● ما رأيك أن نسجل هذا ويذاع فى البرنامج؟

– أى برنامج؟

● حياتنا الثقافية[2].

---

(١) كان هذا فى ديسمبر ١٩٨٣.

(٢) قدمت هذا البرنامج لأول مرة بالاشتراك مع الإذاعى الكبير صلاح حجازى مدير عام التخطيط الإذاعى الآن.

– من أنت؟

● ... مقدم برامج بالإدارة الثقافية، وأرغب فى إجراء هذا الحوار معكم.

– غدًا بعد الساعة السابعة مساء يناسبك؟

● جدًّا وأشكرك يا صاحب القنديل.

طرقت الباب.. يظهر من خلفه الأستاذ يحيى حقى مرحبًا ومباشرة يقول:

– يا بنى إنك تضع يدك فى جُحر الثعابين.

● أستاذى لنعرف الحل لمشكلاتنا لابد من قراءة للواقع ومعرفة لأهم المشكلات، وقد جئت لخبير فى أجواء ثقافتنا.

– طيب هات ما عندك.

● أستاذنا الكبير.. يحيى حقى.. أزمتنا الثقافية الحالية من أين بدأت؟ ولو حصرناها فى عدد من المشكلات فما أهم ثلاث مشكلات فى حياتنا الثقافية؟

– من أين بدأت؟؟ هذه مشكلة وحدها، ووقت البرنامج لن يتسع لهذا، ولكن أفضل أن أرصد مشكلاتنا الثقافية كمظاهر للأزمة فى ثلاث:

أولاً: مشكلة المشاكل الأمية.

ثانيًا: تعليم اللغة الفصحى لأولادنا.

ثالثًا: المعاصرة فى لغتنا الفصحى.

● الأستاذ يحيى حقى.. حين وضعت الأمية على رأس المشكلات فإنك تضع أيدينا على موطن الداء؛ ففى ظل الأمية لا مجال لكاتب أو كتاب.. ولا مجال لصحيفة.

- يا أستاذ إننى حين أتكلم فى الأمية أصاب بإعياء شديد.. هل تصدق أننا حتى الآن لا يوجد عندنا - لدى الدولة - بيان صحيح بعدد الأميين فى مصر؟، ولا نعرف النتائج الحقيقية لبرامج محو الأمية؟.

إننى أشك فى كل ما ينشر من بيانات حول الأمية والأميين فى مصر. إنهم يتسترون على فضيحة، والمشكلة فى الأمية أن تأثيرها لا يتوقف عند حياتنا الثقافية بل يمتد إلى حياتنا العامة.. وانظر فيما حولنا:

منطق الأمى هو السائد، والمتحكم فى حياتنا.

وحسبك أن جميع جهود الصحافة فى التنوير - ولا أقول التثقيف ضائعة أدراج الرياح.

● أستاذ يحيى حقى.. لا تنسى أن محمد على مؤسس مصر الحديثة لم يكن يحسن القراءة والكتابة.

- ولا تنسى أنت يا أستاذ أن محمد على هو الذى أرسل البعثات للخارج، وأن محمد على أنشأ «الوقائع الرسمية»، وهو الذى قاد حركة الترجمة عن الغرب. بل أغرب من هذا رسالة عجيبة يرسلها محمد على باشا لمندوبه فى لندن، يقول فيه: «والله أنا سمعت عن كتب للأطفال فى بلاد الإنجليز؛ أرسل لى عينة من هذه الكتب».

إلى هذه الدرجة يهتم هذا الأمى بالقراءة.

● هل ترى أن السياسة التثقيفية تسير على ما يرام.

– أنا أعترف أنه يجب أن نعيد النظر فى سياستنا التثقيفية، وأن نضع فى الاعتبار وسائل جديدة ظهرت وفرضت نفسها على حياتنا، ولا مفرّ من التعامل معها – أقصد الراديو والتليفزيون – وأن ننسق معها ومع المدرسة، والكتاب، والمنزل. والأمر يحتاج إلى نظرة شاملة.. إلى سياسة كبرى.

وأعود فأكرر: الأمية أم المشكلات فى حياتنا الثقافية.

● الأمية الأبجدية بمعنى عدم الإلمام بالقراءة والكتابة أم أمية هذا العصر، وهى جهل المتعلم بما حوله من خبرات، ومعلومات، وصراعات.. إلخ؟

– أنا أرى الأبجدية عندنا تبدأ بمشكلة، وتنتهى بنكتة:

خذ الهمزة.. هل هى حرف من حروف الأبجدية؟ هل هى علامة صدقنى مشكلة الهمزة فى الحروف الأبجدية عقدة من العقد، وهناك حرف من الحروف يسميه البعض «لا» يقصد (لام) (ألف) لماذا «لا» لا أعرف!

فأنا من طول تفكيرى فى هذه المشكلة حتى وأنا نائم وجدت طريقة جديدة، وأردت أن أضعها موضع التنفيذ.

● الأستاذ يحيى حقى.. إلى هذا الحد.. «ألف باء» اللغة العربية مشكلة؟

- يا سيدى أتريد معرفة بمشكلاتنا الثقافية وتريد حلولاً ؟

● نعم.

- خذ طريقتى الجديدة يا أستاذ حسن.. ماذا فعل الخليل بن أحمد عندما وضع قاموسه؟.

● تقصد قاموس «العين» ؟

- نعم قاموس «العين».. هو لم يضعه بترتيب «ألف باء»، وإنما حسب مخارج الحرف من الفم، فبدأ بالعين ثم انتهى بالباء والميم، ومن هنا أذكر أن الخليل بن أحمد نبهنا أن الحرف فى اللغة العربية له معنى، وأن «التاء» يجوز لها معنى فتزداد قوة فتصبح «طاء»، وأن لها دوران فى الحلق، وأن المتحدث باللغة العربية إن لم يطلب منه أن ينتبه لهذا بوعى كامل فإننا نرجو من المعلم أن يدركه.

● كأنك ترى أن يعاد النظر فى مناهج تعليم الأبجدية؟ وفى ترتيب «الألفباء» الذى تعلمناه ؟ وهل نطرحه كحل لمشكلة الأمية ؟

- أنا قلت: «المشروع بتاعى أن أجيب التلميذ أمامى وأقول له «ماما» لا أقول له (ميم) وأن أبدأ معه بالميم لا بالألف. وأقول له الميم فى الأول... وهكذا إلى آخره.. مرة الميم فى الأول ومرة فى الوسط (محمد، محمود، عالم)، وأظل معه حتى ثلاثة أشهر لأوقظ انتباه الطفل إلى النطق الصحيح، ثم بعد ذلك أرسم له الحرف على الورق.

● هذا انقلاب فى مفهوم الأبجدية وطريقة التعليم..!!

- يا سيدى شوف عندك فى التليفزيون كم مذيعة بتتكلم صح.. لا تعرف الطاء من التاء ولا السين من الثاء، ويفسد المعنى؛ فهل تظن أن هذا الأمر ليس مشكلة؟ ومن أحلامى الكبيرة وأنا فى هذه السن أن تكون هذه الفكرة موضع دراسة من المتخصصين.. لابد أن نحبب اللغة ونقربها إلى متناول المتعلم المبتدئ، وإلا سوف ندور فى حلقة الأمية إلى ما شاء الله، ودع عنك هذه البيانات المنشورة فى وسائل الإعلام.

إن الأمية لم تواجه بجد حتى الآن، والله يعلم متى نمحو هذا العار؟ هل تعرف يا أستاذ أول آية نزلت؟ ﴿اقرأ..﴾ [أول سورة العلق]، وهل تعرف أن أعلى نسبة أمية فى العالم فى أمة ﴿اقرأ﴾؟ لقد أثرت شجونى يا أستاذ حسن ليه بس ليه يا بنى!!

● أستاذ يحيى حقى لعل المشكلة الثانية مرتبطة بالأولى فقد طرحت فى البداية أن المشكلة الأولى هى الأمية، والثانية هى تعليم الفصحى، فكيف يكون تعليم الفصحى مشكلة؟ ثم ما الحل فى نظركم؟

- يا أستاذ أنا بنفسى ضحية من ضحايا تعليم اللغة بأسوأ وسيلة، ولا أزال أحفظ عن ظهر قلب:

إذا حرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه ناصب لجوابه.

وأقسم لك أننى يحيى حقى إلى الآن لا أعرف ماذا يقصد به؟ وقس على هذا الكلام (الصفة المشبهة)، وهكذا نحن خصوصًا فى علم النحو يترتب عليها أن جميع من ينطقون الفصحى يلحنون ويخطئون بشكل

فظيع.. أنا أشبه دراسة النحو، ومدرس العربى بمن يمسك سمكة نيئة ويفتحها ويخرج الشوك أمامه، ويقول له: هذا هو النحو.

لكن الذى أتمناه أن يرى الأستاذ السمكة وهى حية للتلميذ ويقول له هذه السمكة جميلة بدليل هذا النموذج الأولى الذى أمامك. ويقرأ له وهكذا بأسلوب سهل جميل..

فليرجعوا إلى الوراء قليلا أرجوهم.. عندنا نصوص غاية فى الإمتاع فليقرأ «كليلة ودمنة»، و«البخلاء» للجاحظ.. هذه الكتب القيمة بلا شك تحبب الطفل فى اللغة والأدب بعيدًا عن تعقيدات النحو وتركيباته العجيبة ما المانع أن نشكل أو نضبط حروف هذه النصوص أو نهاياتها؟

● هل هذه دعوة إلى تعلم الفصحى بالتذوق بالنظر إلى جماليات النص، أوما يسمى بالطريقة الكلية عند علماء التربية فى التعلم؟

- إن لغتنا الفصحى - لحسن الحظ - لغة ذوق، وهى من أجمل اللغات وأغناها بالجمال، والأصوات، والصور الفنية، فلماذا نعقدها بالنحو؟

● هل هى دعوة إلى غض الطرف عن علم النحو؟

- لا.. لا.. أن نتعلم النحو بذوق وفهم، وليس بحفظ قواعد لا تغنى شيئًا.. وأنا أدعو جميع دور الصحافة فى العالم العربى أن تشكل نهايات الكلمات فيعتاد القارئ على النطق الصحيح، ويصبح سليقة لدى الناس.

● المشكلة الثالثة فى حياتنا الثقافية وهى المعاصرة فى لغتنا: ماذا يقصد الأستاذ يحيى حقى بهذا؟

– فى إحدى ندوات فاروق شوشة «أمسية ثقافية» كان هناك حديث عن القاموس الذى يجب أن نضعه الآن للغة العربية، والحقيقة أنا قلت: «يا أستاذ فاروق إحنا غير محتاجين لقاموس للغة العربية، نحن كما لو كنا مثل واحد فاتح بقال، وبجواره «سوبر ماركت»، فالمصرى لو ذهب للبقال قد لا يجد صعوبة فى التفاهم، بينما لو ذهب إلى «سوبر ماركت» فإنه مؤكد سيجد صعوبة، إن القاموس الذى نريده للغتنا المعاصرة قبل قاموس اللغة العربية هو ترجمة قاموس حديث إنجليزى أو فرنسى إلى العربية.

نريد أن ننقل بهذه الوسيلة أولاً: المعلومات الأجنبية نأتى بها إلى مصر. وثانيًا: إحياء اللغة العربية وإجبارها على أن تجد مرادفًا مقابلاً لكل المعلومات والمفردات الموجودة فى القاموس الأجنبى.. أنا لا أريد لمفردات اللغة أن تقف عند عصر الشعر الجاهلى ونردد:

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعًا كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ

والعالم من حولنا يموج بالمعلومات، ونقف مكتوفى الأيدى.. إن لغتنا قادرة على استيعاب كل جديد، ينقصنا شجاعة الإقدام، ووضوح الرؤيا، والقدرة على الالتزام والاستمرار.

حياتنا الثقافية ستظل فى خطر إذا لم نواكب أحداث العصر ونطور أنفسنا ولغتنا، وإلا كيف نلحق بركب الحضارة فى هذا العصر.

مع الدكتورة سهير القلماوى

الأستاذة الدكتورة سهير القلماوى من جيل الـرواد فى مصر، من الذين يعشقون القراءة، وأعطوا حياتهم للكتاب، وعاشوا للعلم والثقافة والتعليم، لها تلاميذ فى معظم أنحاء العالم العربى كأستاذة جامعيـة منذ سنوات طويلة، معروفة بخبرتها الطويلة فى حياتنا الثقافية.

● د. سهـير القلمـاوى فى استفتـاء البـرنـامـج لاستـطلاع رأى كبار المفكـرين والكتاب حـول مشكلاتنا الثقافية وجدنا آراء مختلفة تتكامل أحياناً وتتضارب فى أحيان كثيرة، فهناك من يرى أزمتنا الثقافية فى غياب القارئ، ومن هنا كسدت تجارة الكتب، وقل الإقبال على التأليف. وهناك من يرى أنها تتمثل فى غياب النقد. وهناك مَنْ يرى أن أزمة الثقافة هى أزمة حرية، أزمة نظام عربى كـامل. تـرى أين يقع رأى الأستـاذة الدكتـورة سهـير القلماوى من هذه الآراء؟

– أشكرك على إثارة هذه القضـايا التى لا نجـد من يهتم بها الآن فى إعلامنا، بل أشك أننا نحسها الإحساس الجيد.

● الدكتورة سهير.. من أين نبدأ؟

- البداية عندى فى أزمتنا الثقافية تتمثل فى تحدى المخترعات الحديثة، من عقول إلكترونية، وحاسبات آلية وتكنولوجيا المعلومات لثقافتنا بوضعها الراهن.

كذلك فإن ظهور الراديو والتليفزيون - الكلمة المسموعة والمرئية - أحدث شيئًا جديدًا فى مجال التأليف الفنى رغم أن الكلمة المكتوبة والمسموعة بينهما لقاء يمكن أن نفهمه ونتعمق فيه، وبينهما كذلك أنواع من التناقض لا ندرسه ولا نتعمق فيه، ولا نعرف لماذا؟ كذلك لا نعرف لماذا الكلمة المرئية لها كل هذا الذيوع الآن إلى جانب أمية المتلقى.

● هذه الوسائل الإلكترونية الحديثة هى مخترعات وافدة علينا لأننا لم نصنعها، وبالتالى فإننا نحتاج إلى الوقت للتعامل معها لتدخل فى نسيج ثقافتنا.؟

- التخلف هو التخلف، ونحن تخلفنا عن اللحاق بركب الحضارة فى هذا المجال، فلا تنتظر أن نتقدم فى مجال ونتخلف فى آخر.. هى سلسلة متصلة.

● أعتقد أن هناك اهتمامًا.. وإلا ما قدم البرنامج - وهو يمثل أحد وسائل الإعلام - هذا الاستطلاع للرأى، وما أثار هذه المشكلة.؟

- أنا أعتقد أنها علامة مشجعة، ولهذا فأنا أحييك وأحيى البرنامج، وسرنى أن هناك من تشغله هذه القضايا من شباب المذيعين مثلك بدلاً من

الجرى خلف نجوم الكرة أو السينما، وكأن ثقافتنا بدأت وانتهت عند هؤلاء.

● الأستاذة الدكتورة سهير القلماوى.. نعود إلى المشكلة المثارة الآن، وهى أن كل ما يكتب وكل ما يذاع فى الإذاعة والتليفزيون والسينما أقل من المستوى المطلوب، وإننا لم نتفهم بعد طبيعة كل وسيلة حتى نتعامل معها بما يناسبها؟..

– أولًا: أنا لا أقول «كل»؛ لأن هناك أعمالا جيدة، وأنا أظلم أصحابها إن عممت، والتعميم هنا ليس من الصواب.

ثانيًا: أنا أريد أن أقول: «إن الكلمة المكتوبة ما زالت لها طاقة فعالة، ولا تستطيع الصورة، ولا النغمة والصوت أن يصلوا إلى هذه الطاقة، وهذه الطاقة الكامنة فى الكلمة المكتوبة لابد أن تستغل وتبرز حتى يعيش الكتاب. وهو بحق عمدة الثقافة فى أية أمة أو شعب من الشعوب. ثم هناك لكل وسيلة ميزة لا تتوفر للأخرى. وهذا يجعلنا ندعو إلى تكامل هذه الوسائل مجتمعة لتلعب دورًا مهمًا فى ثقافتنا الحديثة، وأن نلفت النظر إلى خطورة التساهل فى اختيار العاملين فى هذه الوسائل، لأنهم فى نظرى مسئولون عن ثقافتنا وأنهم يسلطون الأضواء على ما يفيد. أما هذه الأصوات والوجوه التى تطل من وسائل الإعلام الحديثة فإننى أشك فى مقدرة كثير منهم على حمل هموم ثقافتنا وتقريبها للناس، والارتفاع بها وبهم؛ ولهذا فإنك قد تجد إذاعى يعرف أسماء فرقة كرة القدم واللاعبين، ولكنه لا يعرف عنوان آخر كتاب صدر فى مهنته، أو

لا يعرف آخر كتاب لزكى نجيب محمود، أو آخر رواية لنجيب محفوظ. وهذه هى المأساة حقًا.

● بهذا الشكل فإن الكلمة المرئية - أقصد التليفزيون والفيديو والكومبيوتر - تشكل تحديًا خطيرًا فى التعامل معها لكل من المبدع المثقف، والمتلقى بصفة عامة المثقف وغير المثقف.

- هنا فى الحقيقة تحد خطير جدًا؛ لأن الكلمة المرئية تأتى فى عالم يسير نحو التصنيع، وبحث الخطوات نحو استعمال الآلة فى كل شىء بما يوفر له الوقت والراحة، وينتج عن هذا فراغ بعد كدٍّ وتعب.

وبالتالى فإننا ننظر إلى الكلمة المرئية بالذات على أنها أسهل فى التلقى، وبالتالى تحولنا عن الكتاب إلى المسلسلات. وبدلاً من أن تقرأ الرواية، وينطلق خيالك فيها فتعرف مفردات جديدة، وصور فنية فإنك ترى الرواية فى فيلم تليفزيونى أو مسلسل. وبالتالى توارى المكتوب رويدًا رويدًا ليظهر المرئى حيث لا أعمل خيالى ولا أبذل جهدًا فى القراءة.

نحن لم نفكر جيدًا فى أن جزءًا من أزمتنا الثقافية سببه وسائل الإعلام الحديثة، وثورة المعلومات الهائلة التى تدخل حياتنا كالطوفان، وتحولنا أمام شاشة التليفزيون إلى مجرد متلقين فقط، بعد أن كنا مشاركين ونحن نقرأ.

الحقيقة وسائل الاتصال الحديثة لها آثار خطيرة جدًا على الإنسانية كلها، وليس على ثقافتنا فقط، والعالم كله فى هذه الناحية مهتم جدًا

بإجراء الدراسات والبحوث والندوات بينما نحن العرب لم نصل بعد إلى أن نفهم الفرق بين الكلمة المقروءة، والكلمة المسموعة والمرئية.. بدليل أن معظم مسلسلاتنا التليفزيونية تعتمد على الحوار المنطوق أكثر من الاعتماد على الصورة.

إننا يا صديقى غائبون عن الساحة، وأخبرنى كم من مفكرينا شغلته هذه القضية؟ أو التفت إليها؟ ثم هذا الركام العجيب الذى يقذف به التليفزيون فى وجوه الناس - لمجرد شغل ساعات الإرسال - أليس له أثر سلبى على ثقافتنا؟

إن المشكلة خطيرة ومؤرقة.

● أعتقد أننا نقترب من المشكلة الثانية فى حياتنا الثقافية، والتى أشرتم إليها قبل التسجيل، وهى قلة القراءة عند شبابنا، ومنهم شباب الإذاعيين، فهم يجرى عليهم ما يجرى على غيرهم فى مصر. والسؤال هو: لماذا قل الإقبال على الكتاب؟ ولماذا قلّ التردد على المكتبات؟

- فعلاً نحن نشكو الآن من قلة القراءة فى شتى المجالات، حتى طلاب الجامعة لايكادون يقرءون شيئًا خارج محاضراتهم ويرى البعض أن هذا نتيجة طبيعية لوجود التليفزيون. بمعنى أن الوقت الذى كنا نقضيه مع الكتاب أخذه التليفزيون.

وفى تقديرى أن هذا الكلام خطأ. وأقول: « إن قلة القراءة تأتى لا أقول من الأمى وإنما حتى من خريج الجامعة نفسه؛ فهو لا يعرف

القراءة كما كنا نقرأ فى جيل طه حسين أو العقاد، أو فى جيلى ليس لأننا كنا أكثر حبًا وغرامًا بالكتاب من هذا الجيل من الأبناء لا، وإنما لأن هذا الجيل من خريجى الجامعات لم يتعلم أن يقرأ، فهو لم يعتد أن يقرأ نصًا جميلاً فيشعر بجماله فيشعر بحاجته إلى هذا الجمال.

إنما يجد مذكرات وضعت فى عجالة، واختبر فيها فى عجالة ثم نجح وتخرج. وقبل ذلك فى مراحل التعليم لا تجد نصًا يفتح شهية الطالب للقراءة : كلمات معقدة، ونصوص من الشعر الجاهلى. كأنهم تعمدوا بها صرف الطالب أو التلميذ عن القراءة؛ فيكره اللغة، ويكره آدابها، وينتظر اليوم الذى يتخرج فيه؛ فلا يقرأ حتى الصحيفة اليومية.

● د. سهير.. نحن دخلنا إلى التعليم، فمشكلة القراءة بهذا الشكل الذى تشرحينه ترتبط تمامًا بالعملية التعليمية بدءًا من المدرسة الابتدائية وانتهاءً بالجامعة.. ما السبب فى هذا فى رأيكم ؟

- هو فى نظرى المدرس، ثم المناهج الدراسية من الابتدائية وحتى الجامعة. وأنا لا أكف عن الصراخ والصراخ العالى جدًا أن مناهج الأدب حتى مناهج الدين فى هذه المراحل عاجزة عن أن تخرج لنا قارئًا بمعنى الكلمة، قارئًا يقرأ قراءة صحيحة أولاً ويتذوق ما يقرأ ثانيًا..

انظر إلى النصوص الموجودة فى المناهج.. انظر إلى الأدب الجاهلى وما يرد منه من نصوص لطلاب الثانوى فمثلاً توجد بعض القصائد فيها أبيات سهلة ممتعة عظيمة، ولكن عند الاختيار للمقرر الدراسى أجد أنه قد تعمدً أن يُختار منها أبيات تنفّر، تجعل الطالب يكره اللغة والأدب،

ولا أدرى لماذا؟ والشاعر هو الشاعر، والقصيدة هى القصيدة، فما ضرَّ لو أننى اخترت الأبيات السهلة الجميلة؟ حتى أحبب التلميذ فى القراءة وأجعله يستكشف جماليات اللغة فى أسلوب سهل.

إننى أعتقد أن مناهج الأدب فى مدارسنا محاطة بالكثير من التعقيدات وأعتقد كذلك أنَّ تغييرها لا يحتاج إلى تطوير كما يظن القائمون على الأمر، إنما يحتاج إلى ثورة جزرية فى مناهج التعليم.

● يعنى نربى القارئ ونعده من البداية من المدرسة، ثم ننمى فيه التذوق الفنى لآداب لغتنا العربية، وبالتالى يتحول إلى قارئ، وبلغة السوق إلى زبون دائم التردد على المكتبات مشتريًا أو مستعيرًا؟

- الحقيقة أنا أريد متذوقًا من الابتدائية، محبًا للكتاب، باحثًا عن الجماليات فيه، والطفل بطبعه ينشأ محبًا للجمال، وبالتالى نستفيد من هذا الاستعداد فى تكوين القارئ.

● ولكن كما ترين الآن الواقع يختلف كثيرًا؟ ونريد حلا؟

- فى أوربا أنا رأيت أطفالاً فى سن الرابعة والخامسة والسادسة كما يقال: «يفكون الخط»، ويقذف فى أيديهم مباشرة بنصوص لعمالقة الأدب باختيار دقيق، وليس خطبًا سياسية يدرسها الطالب فى كتاب القراءة، ولا خطب مناسبات.. صدقنى لقد أفسدنا الذوق العام لدى أطفالنا، وتسألنى عن حل وعن قارئ؟ ما يحدث بمدارسنا بمناهجها الحالية...

تخريب، حين ندع المناهج لموظفين فى وزارة التعليم، وننأى بها عن المتخصصين.

● هل لنا أن نبحث عن حل فالبكاء على اللبن المسكوب لا يفيد؟

- أذكر أن طفلاً - أعرفه - كان يقرأ فى سن السادسة لكاتب فرنسى عملاق اسمه «الفونس دوريه» قطعة من رواية كبيرة فيها جزء خاص بطفل صغير أخذته أمه إلى طبيب الأسنان ليخلع له ضرسًا. فكان يقر هذه النصوص بأسلوب رائع فى بساطته، وكلمات قريبة من عالم الطفل يشعر بها ويتذوق معناها.

أما نحن فندرس للطالب:

مِكَــرٍّ مِفَــرٍّ مُقْبِــلٍ مُــدْبِــرٍ مَعًــا كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ

الحل فى نصوص يختارها مختصون.. «ندى العيش لخبازه».

وخذ مثالاً آخر، نص جميل بالفرنسية أيضًا يدرسه طفل الابتدائية هناك ملخصه أن طفلاً رفع طوبة من الأرض وأراد أن يضرب بها ضفدعة، ثم توقف فجأة لأنه شاهد حمارًا يجر عربة فى الشارع، عندما رأى الحمار الضفدعة توقف ثم رفع رجله حتى لا يسحق الضفدعة، فأحس الطفل أن الحمار أفضل منه، وأنه أكثر شرًا من الحمار.

هذه المعانى يا صديقى مكتوبة بالشعر، مأخوذة من عالم الطفل الصغير، ليست غريبة عليه، وتعلمه القيم مع القراءة، والقصيدة التى وردت فيها هذه الحكاية لشاعر فحل عظيم.

نحن لا ندقق فى اختيار النصوص لأطفالنـا، وأنا أصـرخ فى هذا البرنامـج وأكرر: «لابـد من التدقيق فى منـاهج التعليم، وفى اختيـار النصوص»، وأسأل الجميع بكل الصدق هل تصلح مناهجنا الـدراسية بـوضعها الحـالى فى تخريـج قارئ متـذوق؟ لا يمكن.. لا وألف لا..، والسبب هو دخول من لا يصلح إلى وضع المناهج..، و «شيلنى وأشيلك»، وتلك الكارثة.. اختيار النصوص مهم جدًا وله دوره المؤثر فى حب القراءة عند الطفل، فإما أن ينشأ محبًا للقراءة والكتاب والمدرسـة، أو كارهـا للجميع فيتسرب من المدرسة لينضم إلى طوابير الأمية فى مصر!!

● د. سهير القلماوى: أشرتم فى البداية إلى أن أحـد أسباب غيـاب القارئ المتـذوق المنـاهـج الدراسية، والمدرس، وقد أوضحتم لنا الجزء الخاص بالمناهج، فما دور المدرس فى هذه المشكلة؟

– أنا أكرر بـدون مبالغـة، وعلى مسئـوليتى أن (٩٠٪) من المدرسـين لا يتذوقون.. وتلك حقيقة دامية، ولكنها واقع لا مفرٌ منه مما يزيـد من تعقيد المشكلة.

ولكن لماذا لا يتذوقون؟

– لأنهم أصلًا غير معدين لذلك.. انظر أى نوعية من الخريجين هؤلاء الذين يقذف بهم للتدريس فى المرحلة الابتدائية، أو الإعـدادية، أو فى المراحل المختلفة.

أعرف أن هذه مشكلة كبيرة وضخمة، وهذا لا يجعل اليأس يتسرب إلى قلوبنا. أنا أقول: فلتكن أضخم ما تكون ولكن لابد لأن أعرفها

أولاً، لابد من التشخيص، ثم أصل إلى الحل وأقتنع به، ثم أزحف نحو المشكلة زحفًا، أنا راضية بالزحف فلست من أنصار الثورة والتسرع.

● للدكتور يوسف إدريس عبارة قالها فى لقائى معه منذ أيام: «إن القراءة إبداع، ومشكلتنا فى غياب القارئ المبدع»، فهل تضع الدكتورة سهير بذلك يدنا على السبب فى هذه المشكلة؟ وهو العملية التعليمية بمناهجها وأساتذتها فى مراحل التعليم؟

- أتفق معك تمامًا فى هذا، وأتفق مع يوسف إدريس فى قوله: «القراءة إبداع» لا يقل أهمية عن الإبداع فى الكتابة، وإذا أردت أن تعرف الحجم الحقيق للمشكلة، فانظر إلى خريجى الثانوية العامة كل عام كم ألف؟ مئات الألوف، وخريجى الجامعة كم ألف؟ أكثر من مائتى ألف. ثم تعال معى فى مجال الرواية وانظر إلى كاتب عظيم يكتب نثرًا مثل نجيب محفوظ، لو أننى فى كل عام وجدت عشرين ألف فقط من المائتى ألف (يعنى ١٠٪ فقط) من خريجى الثانوية يقرءون لكان نجيب محفوظ يطبع على الأقل نصف مليون نسخة من رواية جديدة له.. واسأل بنفسك نجيب محفوظ كم نسخة يستطيع أن يواجه بها السوق؟ هذا بالنسبة لكاتب عملاق مثل نجيب محفوظ، فما بالك بالكتّاب الشباب؟ وكم نسخة من أعمالهم تجد من يشتريها؟

ثم أين مكتبات الأحياء، هل أنشأنا فى كل حى مكتبة عامة؟ إن

الشوارع تفصح عن ذلك بلعب الكرة الذى تضيق شوارعنا به فى الإجازة الصيفية.

● د. سهير.. بهذا ننتقل إلى مشكلة جديدة، وهى غياب مصادر الثقافة التقليدية.. وأقصد بها الكتاب.. فإذا كانت الأمية عقبة.. وإذا كانت المناهج التعليمية مشكلة أدت إلى غياب القارئ المتذوق فإن غياب المكتبات ساعد على انحسار الكتاب، وحصره فى أماكن محدودة، وبالتالى فإن شبابنا يكسل عن البحث عن هذه المكتبات وينصرف عن القراءة؟

– يا أستاذ.. بلاش مكتبات فى الاحياء.. هذا حلم بعيد المنال.. طيِّب ومكتبات المدارس من الابتدائى للثانوى؟ كم مدرسة فيها مكتبة؟ الغريب أن الدولة تخلَّت عن فكرة إنشاء المكتبة فى المدرسة قبل المعمل وقبل قاعات الدرس، واكتفت فى إنشاء أية مدرسة بالفصول الدراسية وأصبحت المكتبة ترفًا، وحال المدارس الابتدائية والإعدادية مذرى جدًّا.. مبانى كالحة كئيبة، منها لايقل – فى إحصائية عندى – عن (١٨٠٠ مدرسة) آيلة للسقوط.

● هل يمكن أن نوجه هذه الدعوة: «مكتبة لكل مدرسة»؟ حتى نفتح منافذ جديدة للمعرفة لأولادنا غير الكتاب المدرسى؟ وفى نفس الوقت نفتح منافذ جديدة لتوزيع الكتاب لتتسع حركة النشر؟

والأستاذ أحمد بهاء الدين يرى أن توزيع الكتاب قتل الثقافة لأنه يوزع فى سوق محدودة جدًا فى مصر.

- «مكتبة لكل مدرسة»!! هذه ضرورة حضارية، وضرورة علمية، وضرورة تربوية، أنا أعتبرها جريمة فى حق الأبناء - أن تنشئ مدرسة بدون مكتبة، هذا غير معقول - وأنا أتفق مع الأستاذ أحمد بهاء الدين فى أن حياة الكتاب فى تسويقه وتوزيعه، وأن هذه المكتبات ستمثل سوقًا واسعة للكتاب وتحفز الناشر وتشجع المؤلف.. ومن هنا نتخطى هذه العقبة.. عقبة الركود الثقافى الذى يحبس الأنفاس ويقربنا من الهلاك.

● منذ سنوات مضت فى مكتبة المدرسة وأنا طالب فى الثانوى قرأت كتابًا للدكتورة سهير القلماوى وآخرين غير حياتى كلها - هذا الكتاب اسمه «كيف نقرأ؟» كتب فيه طه حسين والعقاد وسهير القلماوى، وأسماء كثيرة لا أذكرها الآن - هذا الكتاب يعلم القارئ العادى كيف يقرأ؟ وكيف يلخص؟ وكيف يسرع فى القراءة؟ وكيف..؟ وكيف..؟ فلماذا لا تفكر الدكتورة سهير القلماوى فى طبعه مرة أخرى؟

- فى الحقيقة هذا الكتاب كان شبه مؤتمر أو حلقة وفيه أبحاث كثيرة عن القراءة فى اللغات الأخرى. وأنا لا أعتقد أننى لم أترجم وإنما ألفت لأننى لكى أطبق ما قيل يجب أن يكون هناك نصوص عربية، وكان جزء

التأليف فيه أكبر بكثير من جزء الترجمة، وأنا سعيدة بهذا الكتاب وأتمنى أن أتمكن من نشره قريبًا...، ولكن يجب أن تعرف أن القراءة عادة، والقراءة أحيانًا تكون إدمانًا، وما لم يُنشّأ الطفل عليها من الخامسة والسادسة فإنه يصعب بعد ذلك إذا تقدّم فى السنٍّ أن نعوده على حب القراءة وأنا لا أريد أن أضرب مثلا بنفسى فقد أحببت القراءة أكثر من أى شىء وتحول الحب إلى شغف.. إلى إدمان فلا يكاد الآن يمر يوم دون أن أقرأ شيئًا جديدًا.. فإذا مرت أيام دون قراءة فأنا أشعر بالجفاف أشعر أن شيئًا كثيرًا ينقصنى.. وما ذلك إلا لأننى تعودت على القراءة منذ الصغر ووجدت تشجيعًا حفزنى وحببنى فى القراءة.

إن مشكلاتنا الثقافية صعبة متشابكة، ومتعددة، ولا يمكن أن نعالج مشكلة الكتاب بدون مشكلة القراءة، ولا أن نعالج القراءة بدون مشكلة التعليم، ومناهجه العاجزة ومدرسيه الذين لم يألفوا القراءة وبدون نظرة الدولة إلى الكتاب على أنه سلعة وليس خدمة وبدون المعوقات البيروقراطية للتصدير والاستيراد، بدون اهتمام الإعلام بالثقافة، بدون اهتمام بمستوى الإعلام فى الثقافة.

المشكلة كبيرة كبيرة ولن نضعف ونيأس.

مع الدكتور زكى نجيب محمود

زكى نجيب محمود فيلسوف مصر، وأحد مفكرينا الكبار الذين نعتز بهم، وهو صاحب إسهامات كبيرة فى الفلسفة.

وله مؤلفات كثيرة تتناول بالتحليل والنقد أوضاعنا الثقافية وحياتنا الفكرية، وهو لا يكف أبدًا عن إطلاق صيحات الإنـذار والاحتجاج، ويعلن رفضه لواقعنا الثقافى الحالى، حتى إنه قاطع الإذاعة والتليفزيون لسنوات ليعلن رفضه للواقع الثقافى فى وسائل الإعلام فى مصر، وبعد عناء وافق أن يعود للإذاعة متحدثا فى برنـامج «حيـاتنا الثقـافية» لأهميـة الموضوع الذى أثرته معه، ووافق مشترطًا وشرطه ألا يحذف سطر واحد (لا مونتاج) على ما يقول. قلت: لك هذا.

قال لى: «لقد أضرت الإذاعة والتليفزيون بحياتنا الثقافية؛ فالاهتمام بالثقافة فى الإذاعة والتليفـزيون فى ذيـل القائمـة. إنكم حقا تثيـرون غيظى».

قلت: فلندع الحديث عن دور الإذاعة والتليفزيون إلى وقت لاحق، وأرجو أن تسمح لى بالدخول فى المشكلة الأولى فى حياتنا الثقافية فى رأيكم؟

فأجاب: المشكلة الأولى والكبرى هى أن حياتنا الثقافية لا تساير المشكلات الحضارية التى تواجهنا الآن.

● هل يوضح لنا الدكتور أكثر ؟

– أقصد من قولى أن العالم العربى، ومصر بالتحديد، كان ينبغى أن تشغلنا قضية أولى، هى: أين نحن من حضارة هذا العصر؟ هل نأخذها وحدها ونكتفى؟ هل نرفضها كل الرفض؟ هل نمزج بينها وبين ما عندنا؟

● إذا أردنا أن يكون لنا موقف أو موقع من حضارة هذا العصر، فإن الإجابة على تساؤلات الدكتور زكى نجيب محمود تبدو حتمية.. أين الحل؟ وأية إجابة تناسب حياتنا وظروفنا؟

– الحل الأخير هو المناسب: أن نمزج بين حضارة هذا العصر وبين ما لدينا، وهو ما رآه كثير من الأعلام فى الجيل الماضى وأيضًا فى هذا الجيل، إنه الحل المناسب.

هناك ناس اعتقدوا أن الحضارة الغربية جديرة بالرفض وهناك آخرون اعتقدوا أن الحضارة الغربية وحدها التى يمكن قبولها، والجدير بالرفض هو الموروث الذى ذهب زمانه. ولكن هذا رأى خاطئ.

● أين نحن من هذا؟ إلى أى منها نميل؟

– أرى أن نخلق صيغة جديدة للمثقف العربى، صيغة جديدة لا افتعال فيها ولا تكلف بحيث تضم أهم العناصر المكونة للثقافة فى مجتمعنا المعاصر، ثم أهم العناصر التى منها المصرى مصرى، والعربى عربى، ومثل

هذه الدعوة تحتاج إلى تجسيد فيما يصفه الشعراء، وفيما يكتبه الأدباء والمؤلفون، فيما يفكر فيه المفكرون.

ولكن الذى نلاحظه فى الجيلين المتتابعين فى هذا القرن: الجيل الأول فى النصف الأول من هذا القرن ذهب، والجيل الثانى فى النصف الثانى من هذا القرن هو القائم اليوم. الأول قد أسرف بعض الشيء فى الأخذ عن الحضارة الغربية والتفاخر بما يأخذه كأنه يقول: إن التراث لم يعد موضع فخار، وبالفعل كان المتخرجون من الجامعة يكادون لا يعرفون شيئًا عن تراث أسلافهم، إلا أنه يمكن القول: إنهم أصابوا عندما عبوا كئوسهم وأوعيتهم من الغرب، ولكن أخطأ هذا الجيل عندما بالغ فى هذا على حساب التراث الذى يحقق ذواتنا.

وجاء هذا الجيل وكأنه جاء لينتقم فانتكس بنا نكسة خطيرة نحو الماضى على حساب الحاضر، فأصبحنا نعيش تقريبًا من الناحية الثقافية فى العصور الماضية، ونكاد نغمض أعيننا عن جوهر الحياة العصرية الحديثة التى كان يجب علينا أن نعيشها من ألفها إلى يائها.

ووجه الإصلاح هو الاعتدال الذى عرفت به مصر فى كل عصورها ومراحل تاريخها عندما كانت قوية.

● الحل إذن فى هذه الوسطية التى تدعون إليها.. أن نعيش حياتنا العصرية، ونأخذ من تراثنا ما يناسب أوضاعنا الحالية، وأن لا نبهر بكل ما يأتى من الغرب؟

- بالتأكيد، مصر طوال مراحل تاريخها فى عصور قوتها لا تطرف فيها،

وإنما فى الوسط الذى يجمع بين الطرفين.. والطرفان واضحان، هناك فكر فى هذا العصر، وهناك ثقافة موروثة، وعلينا أن نمزجها فى ثقافة جديدة وأظن هذا هو التحدى الحقيقى لنا جميعًا الآن.

● أعتقد أن هذه المشكلة قديمة وما زالت مستمرة، فهناك ذلك الصراع بين أصحاب الفكر الغربى، من يرى فى الغرب كل شىء حسن، وأن نهضتنا يجب أن تتم على أسس غربية، وهناك من يرى أن نهضتنا لن تكون إلا بالعودة إلى التراث وبعثه من جديد؟

- أولاً أريد أن أصحح كلمة «صراع»، ليست المسألة صراعًا بالمعنى الجاد لهذه الكلمة، لأن من يجادلون فى العصر يجهلونه، يمكن أن نقول «صراع» لو أن كلا من الطرفين على معرفة كاملة بالآخر، فلو كانوا قد عرفوا الثقافتين؛ فاصطرعت الثقافتان فى أذهانهم، ثم ظفرت إحداهما دون الأخرى. ولكن لسوء الحظ الذين يناصرون العصر فى مجتمعنا مناصرة متطرفة يجهلون العصر، والصراع غير موجود فى كلتا الحالتين.. هناك حالة واحدة قائمة على المسرح، واسمح لى بهذا التصحيح لأنه ضرورى، ولأنك أتحت لى فعلاً أن أصحح هذا الخطأ الشائع بين مثقفينا.

● شكرًا لكم على هذا التصحيح، وآمل أن ننطلق إلى موضوعنا، وأن نضع مشكلاتنا الثقافية تحت عينى الدكتور زكى نجيب محمود.

- المشكلة الأولى فى هذا السياق، أن المناصرين للتراث يريدون أن يشدوا أعناقنا إلى الوراء، كأننا من أبناء القرون الماضية، وكأننا نعيش فى الماضى ولا نعيش فى هذا العصر.

هذه مشكلة كبرى، لأنها تسيطر على وجودنا الثقافى اليوم، يعنى الذى يسمع لا يكاد يسمع إلا صوتًا يناديه أن عد إلى الوراء.. إلى الماضى، والذى يقرأ لا يكاد يقرأ إلا كتابًا يناديه أن عد إلى الماضى.. هذه مشكلة كبرى يجب أن نتخلص منها بأسرع ما يمكن، وليس معنى هذا أن نتخلص من الماضى.. لا نحن لا نريد أن نتخلص من الماضى، ولكن أن نحقق به الحاضر.

لو أن هناك مساحة من حرية الرأى وحرية النقد لأمكن لنا أن نتفهم القضية.. أعنى أننا لم نعتد على النقد البناء فأنت إما معى وإما علىَّ.. إما أنْ تؤيد الماضى وإما أنْ تؤيد الحاضر.

● إنك بهذا تفتح أمامى ملف المشكلة الثانية فى حياتنا الثقافية وهى غياب النقد القادر، فما رأى الدكتور زكى نجيب محمود؟

- هناك بالطبع أشياء تنتج فى دنيا الفكر والثقافة، هناك مفكرون ينتجون، وهناك روائيون يكتبون، وشعراء ينظمون، وسياسيون يتابعون تيارات السياسة المختلفة، وهكذا. ولكن الناقد القدير بين كل هؤلاء غير موجود. لم يعد لدينا الناقد القادر إلا فيما يؤلفه بعض أساتذة الجامعات من أساتذة الأدب فى أقسام اللغة العربية فى جامعاتنا عندما يخرجون كتبًا أكاديمية فى نقد الفكر والأدب، وهذا شىء مقبول، ولكن فى العادة هناك

نوع من النقد كان يجب أن يسود جونا الفكرى، ليس النقد الأكاديمى ولكنه النقد الذى يقدم على البصيرة النافذة، ويجب أن نعلم أن كبار النقاد فى العالم لم يكونوا أكاديميين، وإنما كانوا من أصحاب الذوق.. أصحاب البصيرة النافذة لم لانجد هذا الناقد الآن؟

● الأستاذ الدكتور زكى نجيب محمود.. أرجو – وأسمح لى فى هذا – أن أتوقف معكم قليلاً أمام مفهوم الناقد القدير: من هو؟ فهناك اتهام للنقد والنقاد. فمثلاً على موجات هذا البرنامج اتهم الشاعر عبدالرحمن الأبنودى النقاد، ورأى أنهم صحفيون وليسو نقادًا، وأنهم يصدرون فى أحكامهم النقدية عن هوى، وليس عن ذوق أوتذوق.. وأنا أنتهز هذه الفرصة مع مفكرنا الكبير لنضع خطا تحت مسمى الناقد القدير..

– الأبنودى له رأيه، وقد يكون شيء من اتهامه صحيحًا وأنا معه فى أن الصحفى قد لايكون ناقدا، وأنا أقول: «قد» فالنقد له نظامه وله رجاله، كما أن للصحافة نظامها ورجالها، وقد اختلف مع الأبنودى وقد أتفق، ولكن تبقى الحقيقة التى أثارها وأثيرها الآن وهى غياب النقد القادر، والناقد القدير فعلًا.

والناقد القدير: هو من يستطيع أن يجعل لنا من مهامه الكبرى استخراج الفكرة المستبطنة فى العالم الأدبى.. لماذا؟ لأن الشاعر أو الروائى أو المسرحى ليس مطالبا بهذا، بل بالعكس يهدم فنه إذا وضع أفكاره على السطح بحيث تراها أعين القراء. إنه يصور لنا تفاعلات

بشرية، هذه التفاعلات البشرية لابد أن تنطوى على فكرة جوهرية هو لايقولها صراحة. من يخرجها إذن؟ إنه الناقد الواعى البصير الذى يضع أيدينا على هذه الفكرة.

● مثال يوضح من فضلك.

– خذ مثلاً مسرحية «أوديب» التى تحدد علاقة الابن بأمه مثلاً أوعلاقة الابنة بأبيها أو ماشابه ذلك فى المسرحية، من اخرج هذا المضمون والمكنون الفكرى فى المسرحية؟ إنه الناقد القادر. مسرحيات (شكسبير) تناولها نقاد كبار أخرجوا من باطنها مايكمن فيها من أفكار رئيسية، شكسبير لم يقلها، ولم تكن فى وعيه الظاهر.

● المفكر الكبير الأستاذ الدكتور زكى نجيب محمود.. إنك بهذا تضع يدنا على البداية، وهى قدرة الناقد على القراءة المتأنية التى تسبر أغوار العمل الفنى أوالأدبى، وأظن أن كل قارئ أومستمع أومشاهد فى باطنه ناقد يختلف حسب قدرته، واستعداده، وثقافته. ومن هنا تعددت الأذواق والميول.

– أنا فى رأيى أن المشكلة الثالثة والخطيرة فى حياتنا الثقافية هى عدم وجود القارئ القادر، لأن القراءة قدرة.

● يوسف إدريس يرى أن القراءة إبداع، ود. سهير القلماوى ترى أن القراءة فن، ويرى الدكتور زكى نجيب محمود أنها قدرة، ما المقصود بالقارئ القادر؟

- القراءة ليست مجرد تسلية أو إهدار لأوقات الفراغ، والمقصود بالقراءة الواعية تلك القراءة التى تكون بمثابة مشاركة بين القارئ والكاتب، مشاركة فى حوار صامت عادة لايسمعه إلاصاحب الحوار نفسه، وهو القارئ، ولكن هذا الحوار الحى بين القارئ والكاتب قلما يوجد، لأن القارئ عادة قزم أمام الكاتب، وأما إذا كان الكاتب صغيرًا فلاالكاتب يصلح ولاالقارئ، كلاهما لايصلح لنا.

● من أين جاء ضعف القراءة؟

- ضعف القراءة يجيء من أمور كثيرة أخطرها الأمية، وهى ماتزال تشمل نسبة كبيرة.. الأمية التى لاتقرأ ولاتكتب، الأمية التى لاتقرأ جيدًا ولا رديئًا، إننا نحن الكتاب نكتب أحيانًا إلى غير قارئ حقيقة.

● فما مفهوم الأمية لدى الدكتور زكى إذن؟

الأمية فى نظرى تعادل الجهل، الأمية بدايتها الأمية الأبجدية، ولكنها تتسع لتشمل أولئك المتخلفين عن حضارة هذا القرن، لقد قلت لك: إننا نكتب إلى غير قارئ، وكم جامعة فى مصر؟ وكم أستاذ الآن، وكم منهم يقرأ، وإذا قرأ ما نوع ما يقرأ؟

● أليس للمكتبات المنتشرة فى ربوع مصر دور لمحو الأمية.. أمية النوع الثانى؟

- هناك لاشك مكتبات، وبالمجان، ولكن لايقرءون، بل لايخطر على بال بعض خريجى الجامعة مجرد خاطر القراءة بعيدًا عن الدروس؛ لأنه لم يُربَّ على حب القراءة، وأنا أتفق مع الدكتورة سهير القلماوى فى أن

القراءة تحتاج إلى تدريب يبدأ من الأسرة.. من البيت. ثم المناهج الدراسية، عجز التعليم بمناهجه الضعيفة فلم يخرج لنا قرّاءً إنهم يخرجون موظفين للحكومة يعرفون الحروف العربية.

● كلمة أخيرة من مفكرنا الكبير د. زكى نجيب محمود لأجهزة الثقافة فى مصر.

- أنا أعترف أنهم يبذلون جهودًا جبارة، ولكنهم يقعون فى الخطأ فى موضعين:

١ - هذه الأجهزة تتملق الجماهير، ولكن أرى أن الجماهير بحاجة إلى من يربيها، ونحن لابد أن نحملها على التربية، وأن نحمل عبء التربية على أعناقنا.

٢ - أجهزة الثقافة فى مصر تتعمد أن لاتقدم إلى الناس مايشد الانتباه، مايوقظ وعيهم، هى تقدم ماليس فيه مؤاخذة، فإذا أنت سحبت أوسلبت المادة العلمية أوالفكرية أوالأدبية من وجهات النظر الحامية.. الحادة الحارة.. أصبحت مائعة فلاتثير إهتمام أحد، لاالمشاهد فى التليفزيون، ولا فى المسرح، ولافى السينما..

وإن شئت فقل: كل ما يحدث فى هذه الأجهزة شىء يغيظ، ونحن نريد أن نثير الناس ونثير الغيظ فى نفوسهم، حتى يأخذهم القلق، فلا يظنون أن حياتنا الثقافية مستريحة مسترخية.

ملف الكتاب المصرى

مشكلاته.. الأعراض.. الأزمة.. الحلول

قام بالتشخيص

أحمد بهاء الدين
جمال بدران
عز الدين اسماعيل



مع أحمد بهاء الدين
وأزمة الكتـــاب

أحمد بهاء الدين واحد من كبار الكتّاب فى مصر، له بصمات واضحة على صحافتنا العربية ومشاركاته فى المؤتمـرات والندوات أكـثر من أن تحصى. وأحمد بهاء الدين بثقافته الواسعة تولى منصب رئيس التحرير وهو فى سن الشباب فكـان أصغر رئيس تحـرير فى تـاريخ الصحـافة المصرية. قاد مجلة (العربى) فترة من الزمان، تميزت خلالها المجلة بالتنوع فى مادتها، والانتشار الكبير فى جميع أرجاء الوطن العربى.

ولعلك إن ذهبت إلى سـور الأزبكيـة الآن لتشتـرى هـذه المجلة - أعدادًا قديمة منها - سوف يقال لك: إن أعداد أحمد بهاء الدين بكذا، وبعده بكذا. كأن رئاسته تحرير (العربى) قيمة للمجلة فى حد ذاتها وعلامة مميزة لها.

● أستاذ أحمد بهاء الدين.. تجرى الإذاعة استفتاء حول أهم ثلاث قضايا فى حياتنا الثقافيـة أدت بها إلى مـرحلة الأزمة.. وحتى الآن هناك اختـلاف فى الرأى حـول هذه المشكلات التى تهدد حياتنا الثقافية بخطر شديد..

ترى أحمد بهاء الدين حين يتناول هـذه القضية مـاذا يقول؟

– أولاً أشكر لكم هذا الاهتمام لأنه يجىء فى وقته تماماً..

فعلاً نحن نعيش على حافة الخطر، لأن الثقافة ليست شيئاً منفصلاً عن الحياة، فإذا أردت تقدماً ثقافياً فى ظل تخلف اجتماعى أو اقتصادى فأنت واهم. وما أصاب الثقافة فى حياتنا إنما هو انعكاس أثر فيها نتيجة أمور مختلفة.

● هل يمكن لكم أن تضع أيدينا على مشكلة محددة؟

– بكل تأكيد.. إن حجر الأساس لأى ثقافة فى العالم هو الكتاب، وإذا أردت أن تعرف لماذا وصلت ثقافتنا إلى مرحلة الأزمة فانظر إلى حال الكتاب المصرى خاصة، والكتاب العربى. ثم قارن بينه وبين ماتنتجـه المطابع العالمية فى نفس الوقت، ونوعية هذا الإنتاج قبل كميته، لاشك سوف تؤلمنا المقارنة.

● الكاتب الصحفى الكبير، الأستـاذ أحمد بهـاء الدين.. نريد أن نحدد بالضبط هل مشكلة الكتاب المصـرى هى مشكلة خـامات تتمثـل فى غلاء أسعـار الورق؟! أم هى مشكلة مؤلف؟ وبالتالى مشكلة النوع؟ فهناك مؤلفات تموت بمجرد خروجها من المطبعة، لأنها أقل من أن تثير اهتمام القارئ بينما هناك مؤلفات هـزَّت حياتنـا الثقافيـة بمجرد ظهورها.

– يجب أن نعلم أن أزمة الكتاب المصرى يندرج تحتها موضوعات

كثيرة ومختلفة. وأول هذه الموضوعات الجانب الاقتصادى فى صناعة الكتاب، لأننى لاأقول بأزمة فى المؤلفين أوالتأليف؛ فلدينا عدد كبير من المبدعين فى مصر أو العالم العربى يقترب فكرهم من العالمية ويتخطى أسوار العالم العربى.

إن الكتاب وقع فى كارثة يوم أن نظرت إليه الدولة نظرتها للسلع العادية، ولم توله الاهتمام باعتباره خدمة أولى بالدعم من أى شىء آخر فى حياتنا، فإذا توفر الكتاب فى السوق بإمكانات مقبولة بالنسبة لبلد كبلدنا مصر، فإنك سوف تشهد حركة ثقافية لابأس بها.

● أزمة الكتاب فى النظر إليه نظرتنا إلى سلعة مدخلنا للتشخيص.

- حين يتجه الذهن للكتاب كسلعة وإمكانات توفره فى السوق وإمكانات صدور أعمال المؤلفين بسهولة فى كتب، ووصول هذه الكتب إلى القراء بالسعر المناسب فإنه ليست لدينا مشكلة. وإنما يمكن تلخيص المشكلة فى أن الكتاب بمفهوم السلعة يتعرض للضرائب والرسوم والجمارك، وهى كلها قيود تقتل الكتاب، فإذا جاء فوق هذا كله جهات متعددة من الرقابة تمنع وتمنح فإن مأساة الكتاب تصبح أكبر فى كونه لايعامل كسلعة فقط، وهنا بيت الداء.

● والحل؟

- الواقع من البديهى أن لاتأخذ الدولة ضرائب أوغيرها أو حتى أى مليم من صناعة الكتاب أو أى رسم من الرسوم على أى عنصر من العناصر المكونة للكتاب.

● لن يكون هذا إلا إذا تغير مفهوم الدولة للكتاب باعتباره خدمة قومية للمواطن.

– هو بالتأكيد لابد أن يكون كذلك، وأنا لاأقول معك هذا تحيزًا لمهنتى التى أنتمى إليها، ولكن صدقنى أقوله بعد تدقيق واحتكاك بالمهنة منذ سنوات طويلة.

مثلًا حين أقول: الدولة لاتعتبر كل ماله صلة بالكتاب موردًا لها، ويجب أن تتنازل عن أى مورد لها فيه.

● كل ما له صلة بالكتاب.. هل يمكن تحديد ماذا يقصد الأستاذ أحمد بهاء الدين بها؟

– أقصد أشياء كثيرة: أولًا الدولة تأخذ من المؤلف ضريبة مهن حرة كما تأخذ ضريبة من أى تاجر أحذية. هل هذا معقول ونحن نعرف أن التأليف فى مصر، وفى البلاد العربية لا يعود على المؤلف – فى ظل هذا التضخم الاقتصادى – إلا بالقليل، وأنه اليوم بالنسبة لأى كاتب يكتب بضعة مقالات أكسب له وأفضل مائة مرة من أن يكتب شهورًا، وربما سنوات لإخراج كتاب.

وما أراه بالتحديد أن من يؤلف أو يكتب فى أى فرع من فروع المعرفة يستحق مكافأة من الدولة لا أن تأخذ منه الدولة ضريبة (٢٠٪).

● بهذا يطرح الكاتب الكبير أحمد بهاء الدين الحل أو خطوة على طريق الحل فى معاملة الدولة لأهم ركن فى عملية النشر وهو المؤلف، والذى بدونه لن تقوم صناعة الكتاب.

- الحل أن تلقى عن كاهل المؤلفين ضريبة المهن الحرة تمامًا، وأن نعامل المؤلف بشكل أكثر تحضرًا، وأن تحترم دور النشر حقوق المؤلف باعتباره العمود الفقرى لعملية النشر كما تقول، وإيرادات الكتاب من الضريبة عن الإيراد العام يجب أن تلغى، لأننا نعلم أن ما يحصل عليه المؤلف من إيراد الكتاب أجر زهيد جدًّا لا يساوى شيئًا بالنسبة لأى نشاط آخر، سواء كان فنيًا أو تجاريًا أو حتى نشاط كتابة المسلسلات للإذاعة والتليفزيون، أو للسينما أو للمسرح.

ومع هذا فإن جميع أعمال التأليف سواء للسينما أو للمسرح أو التليفزيون يجب أن تلغى عنها الضرائب لأن المؤلف هو الوحيد الذى لا يستفيد شيئًا ذا قيمة من عمله، بينما يستفيد الممثل بل والراقصة أعلى الدخول. ويبقى المؤلف الذى لا نعطيه ما يعادل ما يعطى لممثل مغمور عن دوره فى العمل الذى كتبه المؤلف نفسه.

● هل هناك ضرائب أخرى تفرض على حركة الكتاب خلاف هذا؟

- هناك الضرائب على طبع ونشر الكتاب سواء كانت على صورة رسوم جمركية على المواد الخام كالأوراق والأحبار، ومواد الطباعة، فلا نساوى بين مطبعة تطبع الكتاب، وأخرى تطبع مطبوعات تجارية.

كذلك ينبغى أن نفرق بين مطابع ومطابع. قد يكون من حق الدولة أن تأخذ رسومًا على المطابع الكبرى خاصة التى تصدر كما قلت الملصقات والإعلانات، وعلب السجائر والأدوية، فهناك مطابع صناعية كبرى طابعها تجارى بحت وأقصد بالمطابع التى يجب أن تعفى من الجمارك وأية

رسوم أخرى هى المطابع التى تتخصص فى صناعة الكتاب فقط لا غير.

● المهم أن تتنازل الدولة عن الضرائب والجمارك والرسوم، وكل ما يلزم الكتاب حتى بالنسبة للآلات؟

- هذه ضرورة يا أستاذ، ولا أعرف أية فائدة تعود على الدولة من تكبيل صناعة الكتاب عندنا بكل هذه التعقيدات إن هناك دولاً مثل فرنسا لا يقل اهتمامها بالثقافة عن اهتمامها بالآلة الحربية، وتنفق فى سبيل نشر الثقافة الفرنسية فى العالم أموالاً طائلة.

إذًا ليس غريبًا أن أطلب طلبًا صغيرًا جدًا هو أن تتنازل الدولة عن هذه الضرائب المباشرة وغير المباشرة، وتحرر الكتاب من قيود فرضت عليه جعلت الكتاب المصرى غريبًا على أرضه.

● أظن لدينا فى العالم العربى لبنان وهذه الحركة النشطة فى صناعة الكتاب. ورغم الحرب إلا أن مطابع لبنان تعمل وحركة التصدير إلى جميع البلاد العربية لا تتوقف.

- يا سيدى لبنان لا يوجد بها دار طباعة واحدة تعادل فى حجمها أى دور طباعة فى مصر الموجودة فى الصحف الكبرى أو لدى المؤسسات الأخرى العملاقة الموجودة فى مصر، ولكن النشاط فى لبنان يقوم على عدد هائل من المطابع الصغيرة فى الحجم خصوصًا بعد ظهور نوع من الآلات الحديثة المتخصصة فى طباعة الكتب، ولا تستخدم فى طباعة أى شىء آخر.

ثم بعد ذلك وهو الأهم أن الحكومة اللبنانية حررت الكتاب من جميع القيود، ولذلك فإن صناعة الكتاب فى حدِّ ذاتها مورد كبير من موارد

الدخل فى الدولة فى المعاملات بينها وبين الدول العربية.

ولذلك حين تتنازل الحكومة المصرية عن الضرائب والرسوم، فإنها لا تفقد موردًا للخزانة، بل تنمى موردًا للدخل القومى فى حركة التعامل بينها وبين الدول العربية.

● أستاذ بهاء الدين.. أرى أن نتوقف قليلا عند هذه النقطة، أعنى عند تصدير الكتاب المصرى، ودوره فى رواج صناعة الكتاب مما يعود بالنفع على المؤلف والناشر والدولة فى وقت واحد.

- إن هذه النقطة بالذات غاية فى الأهمية - أقصد تسهيل تصدير الكتاب المصرى - لأن دور مصر رائد فى ثقافتنا العربية وإذا ضعف الكتاب المصرى كما هو الآن رأيت هذا الركود فى حياتنا الثقافية، وهى حقيقة يعرفها الجميع لأنها واقع نحياه.

نحن نعرف أن أى سلعة إذا باعت «ألف» قد تخسر، ولكن إذا باعت «ألفين» لا تكسب ولا تخسر، فإذا باعت «ثلاثة» يمكن أن تكسب قليلاً، فإذا باعت «أربع» آلاف أو «عشرة» آلاف يزداد الربح. والتصدير يفتح سوقًا جديدة فيزداد البيع حتى يتيسر هامش ربح معقول يمكن دور النشر من الاستمرار، ويحفز المؤلف على العطاء المستمر.

● ولكن هناك تصريحات للمسئولين عن تسهيلات فى تصدير الكتاب المصرى؟

- أريد أن أتكلم بصراحة، أكرر بصراحة ودعنا من مجاملات المسئولين. ما أقرأه فى الصحف عن هذه التسهيلات، وبحكم عملى أعرف الكثير،

فإن هذه التصريحات لا قيمة لها أمام البيروقراطية الجبارة القاتلة، والتى يعجز كثير من الوزراء عن مجرد الوقوف أمامها.

ودعنا نتحدث بصراحة.. إن العملية كلها من استصدار إذن التصدير وانتهاء بالتخليص على الكتب للتصدير يلقى الناشر أعباءً هائلة من الموظفين، ومن المال، ومن الوقت الضائع.

عملية التصدير عندنا قتلت الكتاب المصرى وضيقت عليه، وجعلت الكتاب المصرى محليًا بعد أن كانت له الريادة. ومهما يقال على ألسنة المسئولين فى صحفنا فإنهم عاجزون عن اتخاذ قرار شجاع أقولها بكل صراحة، وهذا الوضع فى التعقيدات البيروقراطية من جهة وعجز المسئولين عن ثقافتنا من جهة أخرى هو الذى خلق بيروت، وأتاح فرصة للكتاب اللبنانى للانتشار.

ورغم الحرب الأهلية، فإن الناشر انتقل من بيروت إلى قبرص، والغريب أن أعداد الكتب رغم الحرب فى تزايد واستمرار، لأنه لن تجد فى بيروت: استمارة ب، أو طابع دمغة، أو موظف تخليص معقد، أو ختم النسر ظاهر أو ممسوح.

إن السبب الأساسى فى بيروت ليس انتشار المطابع أو غيره، لأنه يمكن أن تتوفر فى القاهرة، ولكنه يكمن فى التسهيلات التى يحظى بها الكتاب اللبنانى عند التصدير، ومنذ قيام لبنان.

● ربما كانت الجمارك والرسوم تشكل موردًا لا بأس به لخزينة الدولة عندنا فى ظل هذه الظروف الصعبة التى نعيشها؟

- أحب أن أقول لك بصراحة وأنا مسئول عن هذا، وأرجوك أن يذاع كلامى كاملاً فهذه قضية خطيرة.. «نحن نتحدث عن مبالغ تافهة جدًا» بمعنى لو كنا نتحدث عن مصدر كبير فعلاً من مصادر الدولة لأمكن لنا أن نفكر فى الموضوع، وما دعوت الدولة أن تتنازل وفورًا عن هذه الضرائب، وتلك الرسوم. لأن كل قطاع فى الدولة يجب أن يكون عليه جزء من الضرائب، ولكن يا أخى هذا المورد الذى تحرص عليه الدولة وتدمر الكتاب لا يشكل إلا مئات الآلاف، فإذا قورن بميزانية الدولة فإنه يساوى ملاليم «شوية فكة» من موارد الدولة، وهذه الملاليم لو أن وقت البرنامج يسمح لأمسكت بورقة وقلم لأثبت لك أن الدولة تنفق ضعفها على الموظفين والأوراق والأقلام التى عليها أن تنفذ هذه الإجراءات.

من المستفيد من وراء هذا؟ سؤال يحيرنى حقًا!!

وأكرر لك: إن بلدًا مثل فرنسا تعرف أن النفوذ الثقافى يتساوى مع النفوذ السياسى والاقتصادى والعسكرى، وفرنسا بالذات من الدول الأوربية التى تتميز بهذا الاهتمام الثقافى، ولهذا فإنها تهتم بعمليات تصدير الكتاب الفرنسى إلى جميع أنحاء العالم، بل تهتم بتصدير الصحف الفرنسية والمجلات.

هل تصدق أن الحكومة الفرنسية تدفع إعانة لدور الصحف، حتى صحف المعارضة لأنها تعرف أن معنى انتشار الثقافة الفرنسية فى بلد من البلاد يؤدى إلى مزيد من النفوذ السياسى والمعنوى، وهى تقاوم فى هذا الشأن النفوذ الإنجليزى، وانتشار الإنجليزية التى تفوقت على الفرنسية فى أنحاء العالم.

● يعنى التسهيلات المقدمة للثقافة ليست من أجل الثقافة فى حدِّ ذاتها، وإنما لأن وراء ذلك مردود اقتصادى وسياسى ومعنوى. وهو ما نريد أن نلفت النظر إليه الآن؟

– إن العالم المتقدم كله لا يعرف الثقافة من أجل الثقافة فقط، وإلا فهذه خدمة أفلاطونية، وإنما لابد من عائد، وهو ما أدعو حكومتنا إلى الاهتمام بالثقافة من أجله.

● الكاتب الكبير أحمد بهاء الدين.. مشكلات الكتاب المصرى من حيث الخامات والضرائب والرسوم، من حيث حقوق المؤلف المتدنية، من حيث عقبات التصدير، هل يمكن القول إن كل هذه المشكلات أدت إلى العزوف عن التأليف واتجاه البعض إلى كتابة المسرحيات الهابطة، أو الأغانى إياها؟

– هناك ارتباط وثيق جدًّا بين هذه العوامل مجتمعة، ويكفى أن تعرف أحد الحقائق المرة فى بلادنا بالذات الآن، إنه لا يستطيع إنسان – كائنًا من كان – أن يعيش من التأليف، وأقصد تأليف الكتب وأن أكثر كتابنا مثل طه حسين والحكيم والعقاد بعد أن أصبح لهم فى السوق ما يزيد على (٧٠) أو (٨٠) كتابًا لم يتمكنوا من العيش على إيرادِ التأليف.

يكفى هذه الحقيقة لكى نصور أزمة المؤلف وأزمة التأليف، وهى حجر الزاوية فى أزمتنا الثقافية الآن.. هذا مع طه حسين والعقاد، فما بالك بالمؤلف المبتدئ الصغير؟!

ولهذا نجد كل المؤلفين بلا استثناء لهم مهنة أخرى غير التأليف، كأن

يكون أستاذًا فى الجامعة أو صحفيًا فى جريدة، أو كاتب فى مجلة.. إلخ.

ليس لدينا المؤلف المتفرغ كما فى فرنسا أو بريطانيا أو أمريكا ولن يكون فى ظل أوضاعنا الحالية.

● والحل؟

– الحل يطول شرحه، ولكن إذا اتسعت سوق الكتاب وزاد التوزيع يبدأ الحل، فالمشكلة ببساطة ضيق سوق الكتاب، وهو نتيجة طبيعية لضيق سوق التوزيع؛ وهى نتيجة لشهية الحكومة فى تحصيل الرسوم والجمارك بأى شكل دون تفريق بين تصدير حذاء وتصدير كتاب.

كذلك لو توصلنا إلى صيغة للعلاقة بين الناشر والمؤلف بحيث يأخذ المؤلف مقدمًا ثمن كتابه، ثم يفرغ للكتابة لكان أفضل للاثنين معًا. وهذا الوضع موجود فى الدول المتقدمة.

● الأستاذ أحمد بهاء الدين – إن السوق موجودة حتى داخل الدولة، ولكنها تحتاج إلى تنشيط، هل يمكن أن ننسى عدد الجامعات؟ فى مصر كم جامعة؟ وكم خريج كل عام؟ أليسوا زبائن سوق الكتاب؟.

– لا تحرك شجونى.. ليست العبرة بالكم، وكم جامعة فى بيروت؟ يا أخى المشكلة أن خريج الجامعة لا يقرأ أصلًا، وأن الجامعة تنحو منحى يحض على الحفظ لا على تنمية الملكات، وأن أستاذ الجامعة حريص على أن يشترى الطالب كتابه فقط، ثم لا يعنيه أن يقرأ الطالب أو لا يقرأ. ثم أين مكتبات الجامعات المنتشرة فى مصر؟ وكم ميزانيات هذه المكتبات بالمقارنة بميزانية الجامعة؟

إن هناك أطرافًا أخرى فى عمليـة تكوين القـارئ، وهذا أقـوله للإنصاف، فهناك قبل الجامعة المدرسة، فهل تعرف كم مدرسة الآن بها مكتبة ؟ لقد حرصنا على الكم فى عدد المدارس، ولم نفكر أن يكون فى كل مدرسة قبل إنشاء الفصول مكتبة.

ثم طرف ثالث هو المنزل والأسرة.

مع الأستاذ جمال بدران

مدير الإدارة العامة للنشر بدار المعارف (سابقا)

جمال بدران من الأسماء المعروفة فى عالم النشر، فهو خبرة فى الميدان، ويتولى قطاعًا من القطاعات الهامة فى أكبر مؤسسات مصر الثقافية «دار المعارف» باسمها المعروف فى جميع أنحاء العالم العربى، ودورها المؤثر فى حياتنا الثقافية، ولأن المشكلة كبيرة تعددت فيها آراء كبار النقاد والمفكرين.

ولأننا سمعنا أصواتًا لها صلة بالكتاب، هذه الأصوات فى جملتها من المبدعين (كتاب – شعراء – نقاد – صحفيون)، ولكن البرنامج لم يلتق مع مسئولين عن النشر، فهناك اتهامات لهذا الجانب، والحقيقة تقتضى أن نسمع صوتًا مسئولاً عن الكتاب «عمدة الثقافة» كما يقول الأستاذ أحمد بهاء الدين.

– فى الواقع أنا أتفق مع الأستاذ أحمد بهاء الدين فى قوله: «الكتاب عمدة الثقافة» ففى أى ثقافة فى العالم الكتاب هو الركيزة الأساسية فى الثقافة، ثم يأتى بعده بقية وسائل التثقيف والإعلام.

وإذا أردت أن تعرف المستوى الثقافى فى أى بلد فانظر إلى حال صناعة النشر فيه.. حال الكتاب، وحال الكاتب، ثم القوانين المنظمة.

● الأستاذ جمال بدران.. لعلك سمعت الحلقة التى خصصها الأستاذ أحمد بهاء الدين للحديث عن مشكلات الكتاب فى مصر، وتحديده لها، فهو يرى أن عملية النشر كاتب، ومضمون، وناشر، وصناعة تشمل الآلات والمواد الخام، وتجارة تشمل التوزيع وقوانين التصدير والاستيراد، فمن أين نبدأ؟

– المشكلة الأولى فى نظرى أنه قد دخل إلى صناعة الكتاب تجار: دور نشر كثيرة دخلت إلى ميدان النشر هدفها هو الربح، بأى ثمن بدون اهتمام بالمستوى الثقافى بدلاً من أن يلتفت إلى قيمة المضمون الثقافى، هو يرد أن يبيع الكتاب كأى سلعة تلقى رواجًا، ولعله يفسر لك سر هذه الكتب العجيبة التى لا تساوى قيمتها الثقافية ثمن الأوراق التى كتبت عليها، ولكنها تخاطب جمهورًا معينًا مثل كتب السحر والعفاريب.. إلخ.

لن تجد كتابًا فى دار المعارف من هذا النوع، ولكن ستجد عشرات الكتب فى السوق لناشرين آخرين.

كذلك تلك الهجمة الشرسة على التراث ومؤلفات المؤلفين بحيث تسطو أى دار نشر مجهولة المكان والنسب على المؤلفات وتطبعها أو تصورها وتطرحها فى الأسواق بغلاف جديد.

ودار المعارف نفسها تشكو من عمليات تزييف واسعة، وسطو على مطبوعاتنا فى لبنان، وفى بلاد عربية أخرى. ونحن نتابعهم.

● هل يمكن القول أن القرصنة انتشرت فى مجالات صناعة الكتاب؟

- إنها منتشرة من قديم سرقات أدبية ولكنها كانت محدودة.. شاعر يسرق قصيدة مثلاً، ولكن الآن قرصنة منظمة لها رجالها، وإنهم يسرقون أعمالاً أدبية كاملة.

إن دخول التجار عالم الكتاب كان البداية الحقيقية لما نسميه مشكلة الثقافة فى مصر.

○ ما الفرق بين ناشر وناشر؟

- هناك ناشر يهدف إلى تقديم خدمة متميزة، له خطة واضحة محددة المعالم، وفى نفس الوقت يهدف إلى ربح معقول ليعيش ويستمر. وهناك ناشر لا خطة لديه ولا يعرف شيئًا اسمه الخدمة، إن همه هو أن يربح، ولو بنشر أى كلام. وهم كثير الآن. إن رجالاً كبارًا فى مصر كان كل منهم وحده مؤسسة ثقافية كبيرة.

مثلًا: الزيات و «الرسالة»، ومحمد عبده و «العروة الوثقى»، والعقاد وكتبه. هؤلاء كان يعنيهم المستوى الثقافى ولم ينظروا إلى ربح. ولذلك كانت فى حياتهم حركة فكرية، ومناقشات ومساجلات ومناظرات. حياة كاملة ليس منها شىء الآن.

نحن فى زمن الركود.

● الكتاب صناعة وخدمة وتجارة، معادلة تحتاج إلى فهم؟

- الكتاب هو مؤلف أولاً، سواء أكان ناقدًا، أو مفكرًا، أو روائيًا، أو شاعرًا إلى آخره. ولكن بدون عمليات صناعة الكتاب يبقى مجرد أفكار فى قلوب ورءوس هؤلاء، حتى تكون أفكارهم وأعمالهم فى متناول الناس

لابد من ناشر، وأمام الناشر مشكلات ضخمة فى: الورق وهو مشكلة المشاكل فى مصر. الورق هو حياة الكتاب، وعمليات استيراد الورق من الخارج لها مشكلاتها، وقوانين الاستيراد والجمارك لها دهاليزها.

● والجزء الثانى من المعادلة.. الكتاب خدمة..؟

– الأصل فى الكتاب أنه خدمة وهى من المسلمات..، ولا يمكن أن يكون الكتاب إلا كذلك، لأن الكتاب رسالة قبل التجارة وقبل أن يكون صناعة..، ولو تابعت حياة الكتاب فى مصر سوف تجد أن أفضل فترات ازدهاره يوم أن كان خدمة..

فمثلاً فى النصف الأول من القرن التاسع عشر عاش الكتاب فترة ازدهار، وبالتالى ازدهرت الثقافة فى مصر وبالتحديد الفترة من ١٩١٠ – ١٩٥٠ وهى حقبة ازدهار الكتاب المصرى من داخل الدولة أو من خارجها ممثلاً فى دور النشر – القطاع الخاص... أو ما أسميهم بـ «الكتبيون»..

● الكتبيون..!؟

– نعم..!! هؤلاء الناشرون كانوا يرضون بالقليل ويعرفون قيمة الكتاب وأهمية عملهم ولا يتعاملون مع الكتاب إلا من باب الخدمة إنهم أصحاب رسالة وليسوا تجارًا..، وأمهات الكتب العربية طبعها ونشرها هؤلاء الـ «كتبيون»..!!

● ألم تكن فى نفس الحقبة ١٩١٠ – ١٩٥٠ قوانين تحمى الكتاب المصرى تعطلت الآن..!؟

- لم يكن الكتاب المصرى بحاجة إلى قوانين أو مواثيق.. لماذا؟ لأنه كان قويًا لا يحتاج إلى حماية ولسبب بسيط هو تلك الرغبة الصادقة لـدى هؤلاء «الكتبيين» فى نشر الثقافة.

كانت عمليات النشر بعيدة عن الأهداف التجاريـة لدى كـل من الناشر والمؤلف معًا.. كل منهم يشعر بأنه صاحب رسالة بأنه يؤدى خدمة للإنسانية وللثقافة العربية ولذلك قنع المؤلف بالأجر القليل، وقنع الناشر بالربح القليل الذى يمكنه من الاستمرار فى أداء رسالته... فهل هذا هو حال مؤسسات النشـر الآن؟ وهل هـذا هو حـال المؤلف الآن؟ ولأن التكلفة كانت قليلة، كان الكتاب فى متناول يد القارئ بدون مشكلات كالتى نراها الآن..!!، على الرغم من وجود مشكلات فى أسعار الورق لأنه كان مُستَورد، بل جميع عناصر صناعة الكتاب كانت مستوردة ورقًا وآلات وأحبار ومواد خام ورغم هذا كان الكتاب رخيصًا..

أما السبب المباشر لغلاء أسعـار الكتاب الآن فهـو جشع النـاشر وحرصه على الربح الوفير الذى يشبع به كماليات ومتطلبات كان لا يهتم بها «الكتبى» فى هذه الحقبة ١٩١٠ - ١٩٥٠.

من هنا يمكن القول إن عنصر القناعة والصدق هما الأساس فى النظر إلى الكتاب خدمة للقارئ العربى..

● لعلك.. أستـاذ جمـال بـدران - استمعت إلى حـديث الدكتورة سهير القلماوى عن منافسة الوسائل الالكترونية الحديثة للكتاب مثل الإذاعة والتليفزيـون والسينما وغـير ذلك... فما أثرها على الكتاب؟

– لا شك فى أن الكتاب حتى سنة ١٩٣٦ تقريبا كان هو البطل الوحيد فى مجال الثقافة، ولم تكن هناك مشارب تنافسه مثل الإذاعة وغيرها الآن.. ولكن أى منافسة..؟ إذا كانت المنافسة شريفة بقصد «أداء رسالة» فلا خوف على الكتاب..!!، ومع هذا يظل الكتاب هو المورد الأثير لدى المثقفين والعلماء.. أنا لا أقول إن هذه الوسائل الحديثة لم تؤثر فى الكتاب تأثيرًا محسوسًا ولكنها لم تقض عليه ولن تستطيع..

● .. ولكن التقنية الحديثة – كما تقول د. سهير القلماوى – تزيد من قوة المنافسة فالراديو بموجاته المتنوعة وسرعة انتشاره وآنيته، والتليفزيون بصورته الملونة وجاذبيته القوية، والفيديو بقدرته على التكرار والتنوع وإمكانية التحكم فيه.. إلخ فماذا يفعل الكتاب فى مواجهة هذه المنافسة؟

– لابد للكتاب من تطوير أسلحته فى هذه المواجهة المتمثلة فى نوع الورق وتحسينه، فى الصور المستخدمة، فى الطبعات الفاخرة والشعبية، فى «الأبناط» من تصغير وتكبير، فى التغليف الجيد، فى التكلفة المعقولة، فى السعر المناسب مع شبكة توزيع قوية مترامية الأطراف..، ولعل هذا يخفف من حدة المنافسة.

إذن على الكتاب أن يطور نفسه فى كل ما ذكرت.

● ولكن هل هذا يكفى أمام سرعة انتشار الراديو والتليفزيون؟

– إن الكتاب صمد أمام هذه الوسائل منذ نشأتها وحتى الآن وسوف يظل هو الوعاء الحقيقى للعلم والمعلومات، ويكفى أن الجامعات ومراكز

البحوث مهما استعانت بهذه الوسائل لا يمكنها الاستغناء عن الكتاب وعلى أية حال لابد للكتاب من السرعة أيضًا، فهناك آلات الطباعة العملاقة الحديثة السريعة جدًّا دخلت الميدان الآن ولابد من الجودة لأنها المحك الأساسي.. جودة فى المضمون وجودة فى الإخراج..، وجودة فى العرض..، وجودة فى السعر المناسب..

● إن جودة الإخراج والمضمون تكلف أموالاً باهظة فكيف يكون السعر مناسبًا والشكوى الآن لدى جميع الشباب هى.. غلاء الأسعار؟

– الحل بسيط جدًّا..!!

● كيف؟

– .. الإنتاج الوفير يقلل من سعر الكتاب ولذلك قلت لابد من شبكة توزيع مترامية الأطراف داخل الدولة وخارجها.. أن يصل الكتاب إلى كل قرية.. إلى كل مدرسة فى أقصى بقاع مصر..، ولابد للكتاب من أن يوسع من قاعدة القراءة..

● فى ظل الأمية هل نتوقع توزيعًا بكميات كبيرة؟

– فى عام ١٩٥٤ أرسلت للرئيس عبد الناصر.. قلت له: لابد أن نستغل فترة التجنيد الإجبارى فى تعليم القراءة للشباب، ومحو الأمية...، وأعتقد أن مسئولية محو الأمية جزء منها هو تقاعسنا عن مواجهتها بحسم حتى الآن وأنا معك ليس من مصلحة أى دار ناشر أن تستمر الأمية بهذا الحجم تخرج لسانها لكل ناشر..!!

كذلك إصدار الطبعات المختلفة الخاصة بكل بلد يساعد على التوزيع وبالتالى تُحل مشكلة سعر الكتاب.

● ألا يمكن التفكير فى خطة يتعاون فيها كل ناشر مع وزارات التعليم والثقافة والإعلام.. لأن من مصلحة الجميع تشجيع القراءة..؟

– إن التعليم معلم وكتاب، والحق أقول إن نظام التعليم فى بلادنا مسئول عن هذا الفقر فى جمهور القراء، وأتمنى لو كان هناك مؤتمر قومى تدعو إليه وزارة الثقافة جميع الأطراف لمناقشة حال الكتابة وصناعة النشر فى مصر حتى نخرج بمشروع عمل قابل للتنفيذ يحدد فيه دور كل طرف..

وأنا أتفق مع كل من يحيى حقى فى مناهج اللغة العربية الصعبة.. التى أدت إلى أن يأخذ الطفل «درس خصوصى» فى لغته الأم..!!

صدقنى فى غياب مفهوم الكتاب خدمة وبالتالى رسالة لن يتحقق شىء وحسبك تحايل مؤسسات النشر المختلفة على القانون للربح.. والربح فقط.. وهو أمر له ما وراءه..!!

● أستاذ جمال بدران.. نريد حلًّا.. نريد كتابًا رخيصًا.. نريد للكتاب المصرى أن ينطلق فى جميع البلاد العربية..؟

– الحل أيضًا بسيط لو صدقت النوايا.. إن العرب يجتمعون كثيرًا، ولكنهم يقولون ما لا يفعلون...!!

إن الحل فى كلمات قليلة هى: اتفاقية تقرها جميع الدول العربية لا تعترف بالحدود أمام الكتاب بدون رقابة.. بدون جمارك.. بدون روتين..

كذلك يتم النص فى هذه الاتفاقية على أن يطلب كل كتاب من مصدره للقضاء على ظاهرة السرقات المنتشرة الآن..

ثم أخيرًا على المستوى المحلى نعيد النظر فى مناهج التعليم أولاً ثم لا نفتح مدرسة بدون مكتبة مع رفع بنود تزويد المكتبات إلى أرقام حقيقية تشترى الكتاب...، هل تصدق أن بعض المدارس لا يزيد فيها البند المخصص للمكتبة عن (١٠ جنيه) عشرة جنيهات!؟ وهى لا تكفى لشراء بضع مجلات..!!، ثم الإعلان عن الكتب مجانًا فى وسائل الإعلام الحديثة أو بثمن رمزى، وأن تتعاون هذه الأجهزة من خلال تقديم البرامج الثقافية الجادة مع إبعاد المرتزقة عن البرامج الإذاعية سواء فى الراديو أو فى التليفزيون، ولعلك تعرف عن هذه المشكلة الكثير وأخيرًا.. الصدق.. القناعة.. والإيمان بأن الكتاب خدمة للقارئ هو الأساس لاستمرار الكتاب فى حياتنا الثقافية.

مع الدكتور عز الدين إسماعيل

قبل أن يكون مسئولاً عن الكتاب المصرى، هو أستاذ جامعى له مع الكتاب رحلة طويلة وعشق أبدى، الكتاب جزء من حياته.. من بيته.. من تفكيره. وفى هذا الحوار لا نقدم عز الدين إسماعيل الأستاذ، وإنما نلتقى بمسئولٍ كبير عن جهاز كبير من الأجهزة العاملة فى مجال النشر... (الهيئة المصرية العامة للكتاب)..

● د. عز الدين إسماعيل.. لعلك سمعت ما قال الأستاذ أحمد بهاء الدين عن مشكلات الكتاب المصرى؟ أين الهيئة من هذه المشكلة؟

– أولاً: الكتاب المصرى موجود، متوفر، والهيئة لها دور واضح فى هذا الشأن، ونحن نعد للألف كتاب الثانية، نفكر فى هذا، ونقدم عدة سلاسل بأسعار مخفضة.

● ولكن ما تقدمونه حتى الآن أسعاره مرتفعة وقد قابلت شبابًا كثيرًا فى معرض الكتاب هذا العام (١٩٨٤)، ووجدت إجماعًا على غلاء أسعار الكتب مما يدل على أن الهيئة لم تنجح حتى الآن فى جعل الكتاب فى متناول القارئ لغلاء سعره.

- غلاء سعر الكتاب ليس مشكلة.. صدقنى لا يقول هذا إلا عاجز؛ لسبب بسيط هو أنه قادر على شراء تذكرة السينما وتذكرة المسرح. وأنا عندى كتب فى الهيئة ثمنها أقل من تذكرة السينما بكثير. بل يمكن ثمن تذكرة مسرح - قطاع خاص - أن تشترى ثلاثة أو أربعة كتب ممتازة من كتب الهيئة.

● أعتقد أن جمهور السينما وجمهور المسرح يختلفان عن جمهور الكتاب، فهناك أصحاب الدخول الكبيرة يدخلون المسرح ولا يدخلون تحت مسمى المثقفين، وأظن أن معظم من يقرءون دخولهم محدودة، وأن القوة الشرائية لهم ضعيفة مع رغبتهم الشديدة فى القراءة.

- أنا أقول لك وأكرر أن غلاء سعر الكتاب ليس مشكلة هو قد يكون عاملاً من مجموعة عوامل، ولكنه ليس مشكلة.

● ما المشكلة إذن؟

- المشكلة هى انعدام القراءة، قلة القراءة كما تقول الدكتورة سهير القلماوى، فى حديثك معها.

أنت الآن أمام جيل كامل من الشباب خريجى الجامعات والمدارس المتوسطة، بل وطلبة الجامعات، جيل كامل لا يقرأ ولا يحب القراءة، ولا يفكر فى القراءة. إنما يحب أفلام العنف، ومسرحيات الإضحاك، ويدفع من أجلها ما يمكن أن يكفى لتكوين مكتبة فى بيته.

● ولماذا؟ أقصد كيف أصيب شبابنا بهذه الكارثة؟

- أولاً: عجز التعليم.. أنا أستاذ جامعة،وعملت وما زلت أعمل بالتدريس، مناهجنا الدراسية عاجزة عن تقديم القارئ.. إنها تجعل التلميذ أو الطالب يفرح بالإجازة لأنه يتخلص من الكتاب المدرسى، فكيف يحب القراءة؟

ثانيًا: العائلة.. هو لم يُرَبَّ على حب القراءة ولم يعتد ذلك، ولم يغرس فيه الأب حب القراءة، ولم يجعله يفكر قط أن حياته تحتاج إلى الكتاب وإلى المعلومة.

ثم ليس هناك تدريب على القراءة، فالفصول مكدسة والأستاذ مهموم مطحون.

● دكتور عز الدين إسماعيل.. أنا أتكلم مع خبير فى النشر مع مسئول عن واحدة من كبريات دور النشر، ولا أتكلم الآن مع أستاذ الجامعة، فماذا لو ندع الحديث عن التعليم الآن؟ ونعود إلى الكتاب المصرى، لماذا لم يعد إلى الصدارة؟ لماذا بيروت؟ لماذا انحسر الدور الثقافى لكِتّاب القاهرة؟ وأوى فكر كُتّابها إلى دور غير مصرية؟

- الكتاب له مكونات:

أولها: المؤلف.

وثانيها: عملية النشر،

والثالث: القارئ. وبين هذه الأطراف وسائل ووسائط أخرى.

فالمؤلف فى مصر هو الأصل ولولاه ما كان كتاب، ولكن لأن الكتاب صناعة وتجارة الآن، ودخل السوق ناشرون تجار، والهدف هو الربح*ثم الربح جعل دور المؤلف يهتز، لا يوجد قانون يحمى المؤلف بمعنى الكلمة، والمؤلف هو الضحية؛ لذلك تجد الكثير من الكتاب يتجه إلى الصحافة، فالمقالة أربح من الكتاب، وجهدها أقل.

أما عملية النشر فيحكمها أمور متداخلة: منها صناعة الورق، وعمليات الاستيراد، وغلاء سعر الورق، ومشكلات الاستيراد والتصدير، واحتكار العالم الغربى لتجارة وصناعة الورق، وفى ظل ظروفنا الحالية معادلات صعبة.. أرجوك إن الكلام فى هذا الموضوع يؤرقنى جدًّا، وأنا مسئول، ثم عملية الأحبار، والمطابع، وعمال الطباعة، وعمليات التوزيع والنشر، والتوزيع داخل مصر وخارج مصر، وعمليات التسويق والإعلان.. المشكلات متداخلة ومعقدة، وكل منها يؤثر فى الكتاب، فإذا قابل كل هذا صدود من القارئ وعدم إقبال من القارئ على طلب الكتاب، كل هذا زاد المشكلة حدة، ووقعت دور النشر فى مشكلات كبيرة؛ وهيئة الكتاب مثلها مثل دور النشر الأخرى، بل المسئولية عليها أكبر، فهى مطالبة بتقديم الكتاب بسعر أقل، وفى متناول الناس، وتغطى جميع فروع المعرفة.

● يعنى توافق على ما قاله الأستاذ أحمد بهاء الدين؟

- أنا موافق تمامًا.. وهو عنده حق.. والأستاذ أحمد بهاء الدين خبرة فى المجال، وأتمنى أن تجد مقترحاته صدى، ويمكنك مقابلة السيد الوزير

لنستكشف رأيه فيما اقترحه الأستاذ أحمد بهاء الدين، فالذى طرحه أحمد بهاء الدين يحتاج إلى قرار.

● هل توجد مشكلات أخرى؟

- عندى قضية أخرى تؤرقنى، وهى الترجمة، وأنا أعتقد أن ثقافتنا تحتاج إلى الانفتاح على العالم الخارجى، وأن الترجمة أساس لأى نهضة فكرية، وأن محمد على باشا التفت بذكاء إلى الترجمة فى بناء مصر الحديثة. فهل عجزنا عن فهم محمد على باشا ونحن نحاول اللحاق بركب الحضارة؟

إن المكافأة التى تمنح للمترجم متواضعة، وضعيفة، ولا تدل على أننا نقدر دور الترجمة فى نشر الثقافة والارتفاع بها.

● والحل؟

- نغير اللوائح هذه، ونرفع مكافأة المترجم، ونهتم بعيون الفكر العالمى، الترجمة ضرورية لأنه نهضة فكرية، ولا أتصور أن حال الترجمة فى العالم العربى يسرّ.. وأنا أقول هذا بصراحة، وأتمنى أن نجد حلاً لهذه القضية.

مع نجيب محفوظ[1]

الروائى الكبير نجيب محفوظ من أفضل الأقلام المصرية - بل والعربية - التى أثرت حياتنا الثقافية، وقد أمتعنا بفنه المتميز، ولعل كل من قرأ نجيب محفوظ - يجد فيه الأصالة؛ فكل رواياته من قلب المجتمع المصرى، ومعظم شخوصه فى قصصه استمدها من عالم حقيقى. ولايمكن لنا أن نناقش مشكلاتنا الثقافية بجوانبها المختلفة بدون أن يلقى الكاتب الكبير نجيب محفوظ بعض الضوء على هذه المشكلات.. سألته :

● لعلك سمعت آراء بعض مفكرينا فى مشكلاتنا فمن أين نبدأ؟ وبأيها نهتم؟ فأجاب:

- أنا لا أوافق على بعض ما سمعت الآن فى برنامجك من توصيف لمشكلاتنا الثقافية بأنها فى أزمة.. نعم توجد مشكلات، ولكنها لم تصل إلى حدِّ الأزمة كما يرى أخى يحيى حقى، أو الدكتورة سهير القلماوى... مثلاً : لدينا مبدعون... ولدينا كتاب ممتازون... ولدينا حركة فى التأليف والنشر، ولو كنا وصلنا إلى مرحلة الأزمة لما وجدت هذا. مرحلة الأزمة تقتضى التوقف أو أقرب ما يكون إليه، وأنا لا أرى هذا.

---

(١) أجرى الحديث فى سنة ١٩٨٣ قبل حصوله على جائزة نوبل.

● شىء لا يمكن أن نختلف عليه، وهو: هناك أعراض لأزمة تتمثل فى انحسار الكتاب فى حياة الناس، ونكوصه عن دوره الرائد فى العالم العربى، وظهور بيروت.. وهناك مشكلة فى القراءة.. ومشكلة فى مناهج التعليم.. ومشكلة فى دور وسائل الإعلام وتقديمها للثقافة.

– إذن هى أعراض تلفت النظر، وجرس يدق أن ثمة أزمة قادمة وليست واقعة. وأنا أتفق معك فى هذا التعبير.. وبصراحة مشكلة القراءة هذه تؤرقنى... وأنا فى قلق على مستقبل هذا الجيل من أولادنا. فقد أخذهم التليفزيون من الكتاب.. صحيح لديهم معلومات جاهزة معلبة، قدمها التليفزيون ووسائل الإعلام الأخرى ولكنها جاءت سهلة لم يتعبوا فيها كما تعبنا، ولذلك الخطر.. أن يتعود الأبناء على السهل.

● بصراحة أستاذ نجيب لقد سألنى اثنان من كبار المهتمين بالثقافة، وقالا لى: سل نجيب محفوظ وهو من هو: كم نسخة توزع أفضل رواياته؟

– من الذى قال لك؟

● الأستاذ جمال بدران مدير عام النشر بدار المعارف، والدكتورة سهير القلماوى.

– آه.. يعنى أنا مقياس.. لا أظن!

● ذلك فعلاً، نجيب محفوظ اسم معروف فى عالم الرواية فى العالم العربى كله، وأن نعرف كم توزع رواياته الجديدة فى حدِّ ذاته مؤشر.

– أنا يا سيدى لا أوزع فى أحسن الأحوال فى مصر أكثر من ثلاثة آلاف نسخة فقط، ويمكنك سؤال الناشر.. وليست المشكلة فى أن توزع من رواية لى ثلاثة آلاف، ولكنها تصبح مشكلة إذا عرفت أن فى مصر (١٣) جامعة وأكثر من ألفى مكتبة عامة، وأكثر من نصف مليون خريج كل عام.. أنا لم أكن أحب أن أتكلم فى هذا الموضوع لأنه يسبب لى كآبة.. كيف يمكن أن نلحق بالحضارة فى هذا القرن بدون القراءة؟

إن أول شىء قاله «ديان» عن العرب: «إنَّ العرب لايقرءون..»، ولم يقل «موشى ديان» هذا الكلام من فراغ.. وأنا أسألك وأنت من رجال الإعلام: كم طالب فى الجامعة قرأ العقاد أو طه حسين؟ كم طالب فى الجامعة قرأ الدكتور محمد مندور، أو يوسف إدريس؟ بل كم أستاذ من مدرسى الأدب واللغة فى الثانوى يعرف السحَّار، أو يعرف الإبيارى، أو يعرف من قبلهم أو حتى من بعدهم؟

● ما السبب فى هذا؟

– أنا مع أخى الدكتور زكى نجيب محمود، والدكتورة سهير القلماوى.. إنها مناهج التعليم، ولا يمكن فى ظل هذه المناهج أن يخرج لنا طالب قارئ متذوق.. إنها أشبه بمعامل التفريخ.

إن نظم التعليم فى مصر والعالم العربى تعمل على قتل روح الإبداع، وأنا أضم صوتى إلى الأصوات التى تنادى بضرورة الحذر فى تناول مناهج اللغة العربية والدين.

مشكلة أخرى غير القراءة؟

– هذه مشكلة أساسية؛ لأنه لَوْ لَدَىَّ القارئ فإن حركة السوق

ستزدهر، وبدون قارئ لا يمكن أن تتحدث عن الثقافة رغم وجود وسائل الإعلام.. وأنا أعرف أنها تمدنا الآن بكمٍّ من المعلومات كان من الصعب جدًّا أن نعرفه من الكتاب قبل ذلك.

ولكن يبقى الكتاب هو الأصل.

● نجيب محفوظ من رواد الرواية فى العالم العربى فهل ترى هناك أجيالاً من كتاب القصة يمكن لهم أن يكونوا فى مستوى نجيب؟ وهل هناك مشكلات تعوق ظهور هؤلاء؟

– نعم يوجد من حيث الفنية فى كتابة القصة، هناك كتاب ممتازون، وهناك أقلام واعدة مبشرة، وهناك أقلام تعد من أحسن كتاب القصة القصيرة فى مصر، وعلى رأسهم يوسف إدريس، وهناك جيل من الشباب أنا أقرأ لهم وأرى أنهم على مستوى ممتاز؛ وهذا ما جعلنى أقول: «إن الثقافة ليست فى أزمة.. الأزمة حين يتوقف الإبداع»، ولهذا قلت: «توجد أعراض مشكلة»، وفرق بين الأمرين.

● هل تذكر لنا بعض الأسماء التى تعجبك فى القصة؟

– لا أتذكر الآن، ولكن يكفيك يوسف إدريس إنه من أفضل كتاب القصة القصيرة فى مصر.

● ولكنه من الجيل الرائد.. وأنا أريد أن أطمئن إلى وجود براعم يمكن يومًا أن تكون على مستوى يوسف إدريس أو نجيب محفوظ.

– لا أتذكر الآن بالتحديد حتى لا أذكر اسمًا أو أسماء فيسبب ذلك

حرجًا، ولكن صدقنى لدينـا منهم كثير، فقط أن يلتفت إليهم النقـاد، ويقدمونهم إلى الجماهير.

● لعل هذا يقودنا إلى موضوع النقد، ودوره فى حياتنـا الثقافية؟

- النقد لا شك له دوره، والناقد هو الذى يقرب العمل الفنى أو الأدبى إلى الناس، وبدون الناقد المبدع قد لا يعرف الناس الأدب الممتاز من غيره. والنقد فى مصر بخير، ولكنه يحتاج إلى تنشيط وإلى أن نهتم به أكثر، ويكفى أنه فى مصر كلها لا تصدر صحيفة متخصصة فى النقد الحقيقى.

● لعلها دعوة من الكاتب الكبير نجيب محفوظ إلى إنشاء مجلة نقدية مهمتهـا جلاء إبـداعات المبـدعين، وتقـريبها للناس، فهل نرفع هذا بصوتك إلى وزارة الثقافة؟

- يا أخى.. أن ننتظر الحكومة تفعل كل شىء ظلم.. أن تتحرك وزارة الثقافة وحدها لا يمكن.. هل كانت جماعة «أبولو» تتبع وزارة الثقافة؟ وهل كانت مجلة الرسالة تتبع وزارة؟

نحن نحتاج مبدعين ونحتاج إلى من يؤمن برسالة الأدب والفن فى المجتمع فنعمل إلى جانب الدولة جنبًا إلى جنب.

● أستاذ نجيب محفوظ: لا أريد أن أطيل عليك وأراك مشغولاً وقـد تسربت الدقائق من يدى، وخـاصة أنكم قـد حددتم لى هـذا الوقت بالكاد.. وأرانى أصل إلى النهاية فى هذه العجالة على أن تحدد لى موعدًا آخر نكمل فيه حديثنا فما زال للموضوع بقية..

مع نعمان عاشور

إذا كان حوارنا فى الأسابيع الماضية تناول مشكلاتنا الثقافية متمثلة فى غياب القارئ، أو غياب القراءة كما تقول د. سهير القلماوى.. وإذا كان حوارنا أيضًا مع أحمد بهاء الدين قد لخَّص مشكلاتنا الثقافية فى مشكلات الكتاب: مادة خام، وطباعة، ومؤلفًا، وقوانين، ورقابة، وناشرًا، واستيرادًا وتصديرًا. كلها أطراف لموضوع واحد هو الكتاب المصرى - العمود الفقرى لثقافتنا.

إذا كان هذا كله أثير فى الأسابيع الماضية، فإننا فى هذا الأسبوع نلتقى مع جانب آخر يكشف عنه هذا الرجل.. إنه الكاتب المسرحى الكبير نعمان عاشور؛ فقد عاش هذه المشكلات من خلال عمله الصحفى، واحتكاكه بالساحة الثقافية، وعاش هذه المشكلات من خلال أعماله الفنية ككاتب مسرحى متميز، وتشهد بهذا التميز أعماله الفنية التى قدمت على خشبة المسرح فى السنوات الماضية.

● أستاذ نعمان عاشور.. ما أول مشكلة تراها خطرًا على ثقافتنا أو تسببت فى وضع الأزمة التى نحياها فى حياتنا الثقافية؟

- الرقابة.. ثم الرقابة.. إنها قتلت الإبداع لأن هناك أيدى مرتعشة خائفة ترى كل شيء ممنوعًا لا ينبغى للناس أن يعرفوه، والمصيبة حين

يكون الرقيب جاهلاً. وعشنا هذا فى فترة نعرفها، وكان الرقيب لكى يستريح يمنع كل ما يشك فيه حسمًا لأى مخاطر يراها. إن ثقافة الرأى الواحد والرؤيا الواحدة هى التى خلقت هذا التخلف الثقافى، وهى التى جعلت الآن صدور كثير من المبدعين تضيق بالنقد؛ لأننا ظللنا فترة طويلة لا نسمع نقدًا، ولا نسمع للرأى الآخر.

● أعتقد أننا الآن فى سنة ١٩٨٣، هناك خطوات إلى الأمام فى مجال حرية الرأى، وتفهم كامل من جانب صاحب القرار لموضوع الرقابة. ولعلك شعرت به فى صحفنا الآن.. يكتبون فى كل شىء، ولم يعد هناك خوف من المساس بأى موضوع.

- هذه مساحة من الحرية لا ترضينى.. أنا أريد حرية بمعنى الكلمة.. أريد حرية الإبداع بدون سيف الرقيب حتى وإن تساهل، لأن مجرد وجود شىء اسمه الرقابة يدل على أننا لم نبلغ بعد سن الرشد.

● والحل؟

- الأخذ بالنظم الديمقراطية المتعددة، سواء فى الأدب أو الفكر أو الفن.

وفى النظم الديمقراطية: هناك الرأى والرأى المخالف، وهناك حركة فى كل اتجاه وليس فى اتجاه واحد كما فى النظم الشمولية.

صدقنى وصولاً إلى الحل لابد من خطوات فى طريق الحرية. هذا أولاً. وثانيا: أن نرتفع بمستوى مفهوم الحرية بحيث لا يحجر أبدًا على صاحب رأى أو فكر، أو فنان، أو شاعر، بحيث لا يعامل المبدع معاملة السياسى مهما كان.

إنها جريمة أن تعامل الشاعر أو الأديب معاملة السياسى مع الفارق الكبير بينهما؛ فالأول يسوق رأيه فى فنه. أما الثانى فله وسائل قد نختلف أو نتفق عليها.. أيضا لا تنسى أن الأدب والفكر أرفع من أن نقيده بقيد كما نقيد السياسى بقيود معينة؛ فالنشاط السياسى له قوانينه التى لا يمكن أبدًا أن تصلح للأدباء، وللأسف لم يدمر حياتنا الثقافية إلا أننا عاملنا المبدعين أصحاب الرأى معاملة السياسيين!!.

إننا نخنق الأديب ونقتل الأدب حين نطلب من الأديب أن يلتزم قواعد النشاط السياسى فى فكره.

وأين الحلم؟ وأين الانطلاق؟ وأين حرية التفكير؟!!

لا يمكن أن ننتج فكرًا وأدبًا بدون هذا.

● لعل الصدام بين الأديب أو المبدع بصفة عامة والرقابة ناتج من أن المبدع صاحب فكر ورأى، ولا يمكنه الصمت إزاء ما يدور حوله من أحداث، والتى قد يرى السياسى أنها قد تضره أو يضيق صدره بها.

– لا شك أن الأدب أو الفكر قائم على معارضة الأوضاع السقيمة، ولا يمكن القول إن أوضاعنا فى مصر أو العالم العربى على ما يرام. أو أنها سليمة صحيحة. ودور الفنان أو الشاعر أو الأديب أو المفكر أن يلفت النظر إلى هذه الأوضاع السقيمة حتى يصحح المسار، ولكن فى ظل الحكم الشمولى لا يسمح أبدًا بهذا، فإذا أردت أن تعرف أخطر مشكلة تهدد الثقافة فهى أمامك فى كل بلد عربى لا يسمح بالحرية. وإذا أردت أن

تعرف الحل فهو سهل جدًا، أن تلغى الرقابة وأن يسمح بحرية النقد وأنا راض ولو بمساحة معقولة من حرية النقد.

● أرى أن علاج مشكلاتنا الثقافية يبدأ بالتعرف على هذه المشكلات كما يشخص الطبيب المرض، ثم نتعرف بعد ذلك على العلاج المناسب لهذه المشكلات.. ولعلك تلاحظ أستاذ نعمان أن لدينا مساحة طيبة من حرية الرأى الآن، وأسأل: هل منع مقال لك فى هذه الأيام؟ أو حذف شىء مما كتبت؟

- الآن.. لا. الآن نحن أفضل وأنا متفائل.

● ترى الدكتورة سهير القلماوى أن لدينا أزمة قراءة، وأن شبابنا بهذا الحال ليس مؤهلًا لقيادة هذا البلد مستقبلا، وأن الأمر خطير.

ويرى أحمد بهاء الدين أن أزمة القراءة فى أصلها أزمة كتاب.. ما رأى الأستاذ نعمان عاشور فى هذا؟

- أرى أن كلًا منهما على صواب، وأن كلا الرأيين يكمل الآخر، الاثنان يكونان ثنائيًا خطيرًا جدًا: القراءة والكتاب. وأخطر من هذا أن يصدر عن شخصين من كبار مفكرينا فى العالم العربى.

وأنا أرى أن أزمة القراءة سببها المنزل والأسرة، وليس المناهج الدراسية فقط كما ترى الدكتورة سهير.. تعليم القراءة يبدأ من البيت ثم دور المدرسة ومناهجها، ثم هناك وسيلة خطيرة، وهى التليفزيون.. هذا الغول الذى يأتى على كل شىء ودخوله كل منزل.

إننا فى عصر الكلمة المرئية بكل المقاييس، وليست الثقافة كتابًا فقط كما يقول الأخ بهاء الدين. أنا أختلف معه. إن الطفل من هذا الجيل عنده كَمّ من المعلومات تلقّاه من وسائل الإعلام الحديثة لم يتوفر لنا ونحن فى نفس السن.

وأقول لك: «إن المنزل والتليفزيون يشكلان جبهة عريضة. لو أحسنا استخدامها، فإن هذا الجيل سوف يعرف الكتاب؛ وتختفى أزمة القراءة. المهم هو التوجيه والاستثمار.

● ولكن الدكتورة سهير القلماوى ترى أن الكلمة المرئية نفسها تشكل تحديًا خطيرًا لثقافتنا، وأننا أقل من مستوى هذا التحدى، خاصة مع شيوع الترفيه فى وسيلة مثل التليفزيون.

– أنا لم أختلف مع الدكتورة سهير فى هذا، وإنما أختلف معها فى الخوف من الكلمة المرئية، لماذا لا نستفيد منها؟ ونوجهها لخدمة مشكلاتنا؟ إن التليفزيون لا شك قائم على الترفيه، ولكنه أيضًا قائم على الإعلام. أما المصيبة التى لم نلتفت إليها أنه لم يتعرض للثقافة على الإطلاق، ولا تدخله الثقافة من أى جانب.. إن خلو التليفزيون من الثقافة الحقيقية – فى حدّ ذاته – مشكلة خطيرة؛ لأنه يخاطب جمهورًا عريضًا، وأنه المأمول فى تعريف الناس بالإبداع، فكيف به يتخلى عن هذا؟ ويتحول إلى ترفيه شيطانى عجيب لا صلة له بواقعنا الثقافى ولا بمشكلاتنا كأنه تليفزيون عالم آخر وليس على أرض بلادنا.

● هل يمكن القول إن هذا الاتهام للتليفزيون بخلوّه من

الثقافة فى غير محله؟ لأنه أداة.. إناء ناقـل، وهو يعكس الأوضاع القائمة.

- لا.. أنا لا أتهم التليفزيون.. أنا أقرر واقعًا. التليفزيون يخلو من البرامج الثقافية الجادة، لأنه ليس لديه الكوادر المؤهلة القادرة على تقديم الثقافة.

وأنت تعرف - وغيرك وغيرى - كيف يتم اختيار هذه الكوادر.

فإذا كانت وسائل الإعلام لا تنقل الثقافة - وهى التى تدخل كلَّ بيت - وإذا كان الكتاب مكبلًا بقيود مالية وفنية ورقابية أشار إليها أخى أحمد بهاء الـدين إلى جانب وضـع المؤلف وما يحيط بنـا من مشكلات اقتصادية تضعف القوة الشرائية للقارئ؛ فإن ثقافتنا فعلًا فى خطر.

ومع طغيان المسلسلات الأجنبية، والأفـلام والمسرحيـات والبرامـج المعلبة؛ فإن الذاتية الثقافية للعربى فى مهب الريح. إن وسائل الإعلام تحاصرنا من كل جانب مع خلوها من الثقافة. وكان الأولى أن تقدّم لنا ثقافة لا تكلف وتصبح فى متناول الجميع فى هذه الأزمة الاقتصادية التى تجعل القارئ يتحول عن الكتاب ليشترى لقمة العيش.

● أظن أن هذا القول خطير لو أطلقناه بشكل عام؛ لأن قولك «وَسـائل الإعـلام» يشمل الصحـافة والكتاب ولا يشمل الراديو والتليفزيون فقط؟ وأظن أن البرامـج الثقـافية فى التليفـزيون تشغـل حاليًـا (٧٪) من إجمالى الإرسـال، وأنها فى الإذاعة تصـل إلى (٢٠٪) إلى جانب

الأبواب الثابتة فى الثقافة والأدب فى جميع صحف العالم العربى وفى مصر.

- وسائل الإعلام لا تقدّم فعلاً ثقافة.. صدقنى من قال إن التليفزيون يقدم ثقافة؟ وهل خمس دقائق أو عشر على الخريطة نسميها ثقافة؟

وأسألك - وأنت واحد من رجال الإعلام - لو مات نعمان عاشور[1] ولاعب كرة فى يوم واحد، بأيهما يهتم التليفزيون؟ وأيهما يظل أيامًا نتكلم عنه؟ وأسألك لو أنّ نظرية جديدة ظهرت فى علم من العلوم فى بلد من البلاد وممثلة نصف مشهورة ماتت، فأيهما يكون أكثر مساحة على خريطة وسائل إعلامنا؟ ثم كم مصرى يعرف الدكتور مشرّفة؟ وكم مصرى يعرف الخطيب؟ كم من طلاب الجامعات يعرف المهندس حسن فتحى؟ وكم منهم يعرف نجلاء فتحى؟

إن وسائل إعلامنا تجرم فى حق هذا الجيل حين تقف من الثقافة والمثقفين هذا الموقف العجيب.

● الكاتب المسرحى نعمان عاشور.. لا يمكن أن نتحدث عن مشكلة الثقافة معكم وننسى المسرح، وخاصة وأنتم من كبار كتاب المسرح فى بلادنا.

لماذا توقفت عن الكتابة فى الأيام الأخيرة؟ وأين المسرح فى حياتنا الثقافية؟

---

(١) من عجائب القدر أن الراديو والتليفزيون لم يلتفتا إلى وفاة نعمان عاشور.. وكأنه كان يقرأ من كتاب مفتوح.

– أولاً: أنا لم أتوقف عن الكتابة للمسرح، وكل ما فى الأمر أننى اتخذت موقفًا من المسرح منذ سنة (١٩٧٠).

ففى هذه الفترة بدأت تنهار مؤسسات الدولة الثقافية، ووضع المسرح فى أيدى الانفتاح الاستثمارى، وتحول إلى سلعة للتسلية وليس خدمة تقدمها الدولة لمواطن، وأصبحت الثقافة سلعة تباع وتشترى بأغلى الأسعار ومع هذا فأنا أدعوك لمشاهدة مسرحيتى هذا العام لتعرف أننى لم أتوقف عن الكتابة وإنما كان هناك موقف خاص بفترة معينة فقط، حين طغى المسرح التجارى القائم على التسلية والربح بأى ثمن، وضاع المسرح الجاد.

● أستاذ نعمان عاشور.. فى هذه الأزمة التى نعيشها هل يمكن القول أن المسرح ظهرت عليه أعراض مشكلاتنا الثقافية؛ فأصابه ما أصاب جوانب الإبداع الأخرى فى ثقافتنا؟ وهل تتصور دورًا للمسرح فى حل مشكلاتنا الثقافية؟

– المسرح هو الأساس خصوصًا فى هذه الأيام.

ولا شك أن المسرح من أكثر الفنون تأثرًا بما يدور فى حياتنا الثقافية. فإنه فى غياب الكاتب المبدع تظهر نصوص مسرحية تافهة، وفى غياب المخرج المثقف تظهر أعمال مسخوطة لا هدف من ورائها إلا الإضحاك كما تراه الآن.

أما الممثل فإنه يحتاج إلى العمل ليأكل أو ليظل فى أذهان الناس فيقبل ما دون المستوى، والمسرح هو أبو الفنون، فيه الكلمة والموسيقى،

وفيه الأداء التعبيرى والتمثيلى، والرسم والديكور، وفيه جميع المكونات الفكرية للثقافة، فإذا خلت بيئة من المسرح فإنها بيئة هزيلة، لأن المسرح مركز إشعاع وأداة توعية.. إنه يمثل ضمير الشعب وذاكرته، والآن التليفزيون ابتلع المسرح، وفى ظل غلاء أسعار التذاكر، وغلاء أجور الممثل والمخرج والفنى، وفى ظل صعوبة المواصلات، فإن الأسرة تفضل السهر فى المنزل أمام التليفزيون أو الفيديو عن الخروج إلى بهدلة الشارع.

إننى أدعو فى كل كتاباتى وجميع مقالاتى، ويسرنى أن أدعو مرة أخرى من خلال برنامجك «حياتنا الثقافية» إلى أن يحتضن التليفزيون المسرح الجاد، لأنه رسالة. وبهذا نكسب التليفزيون ونكسب المسرح الجاد، ويكمل كل منهما الآخر، ولكن المشكلة أن التليفزيون ترك المسرح الجاد، وجرى خلف المسرح التجارى وراء الفرق المسلية.

● هل حل مشكلة المسرح خطوة نحو الخروج من أزمتنا الثقافية؟

- طبعًا.. ولذلك أن أعتبر أن حل مشكلة المسرح فيها حل لجميع المشاكل الثقافية.

● إذا كان حل أزمة المسرح خطوة على الطريق نحو الخروج من مشكلاتنا الثقافية، فما هى الحلول التى يطرحها نعمان عاشور بخبرته الطويلة؟

- المسرح لا يقوم إلا على التأليف.. تأليف للمسرح فقط - وليس التعريب أو الاقتباس، ولا الإعداد. وطالما لا يوجد مسرح نشط،

يستطيع أن يقدم مؤلفين جددًا لهم قيمتهم بفعل الظروف؛ فإن أسلم طريق هو الرجـوع إلى القديم، سـواء من مسرح الستينـات أو من التراث المسرحى من اليوم وحتى (٣٥) عامًا إلى الوراء.

(حل على الطريق)

أن تنظر الدولة إلى المسرح على أنه خدمة لا تقل عن رغيف الخبز، ووسيلةِ المواصلات، وخطوة على الطريق أن تولى وزارة الثقافة اهتمامها لما كلفت به من هموم ثقافية، وأن تترك مجال الدعاية لغيرها من الأجهزة الأخرى.

ولقد قلت هذا فى آخر اجتماع لى مع السيد وزير الثقافة وأكرره اليوم.. اللهم قد بلغت..!!

دكتورة نعمات أحمد فؤاد

... فى هذه الصفحات سوف تلقانا آراء جريئة ثاقبة، هى خلاصة فكر وتجارب أستاذة جامعية كبيرة، أبت أن تظل فى برج عاجى فى رحاب الجامعة...، اندمجت فى مجتمعها، عاشته وعايشت مشكلاته بإيجابية واعية مما جعلها فى مصاف كبار مفكرينا فى مصر والعالم العربى..

نلتقى مع رؤية الدكتورة نعمات أحمد فؤاد لمفهوم الثقافة، وواقعنا الثقافى بما فيه من قضايا ومشكلات كثيرة، ثم الحلول التى تطرحها للخروج من تلك الأزمات والمشكلات..

وللأستاذة الدكتورة نعمات أحمد فؤاد مواقف معروفة، فَمَنْ من المصريين لم يعرف موقفها من مشروع هضبة الأهرام سابقًا ولاحقًا..!؟ ومَن منا لم يعرف مواقفها الكثيرة من الحفاظ على آثارنا قاطبة مسيحية وإسلامية وغيرها..!؟.

● د. نعمات أحمد فؤاد.. واقعنا الثقافى.. هل ترضين عنه..!!؟

ما الذى أوصلنا إلى هذا الحال..!؟

● أولًا: أشكرك فى البداية على هذا التقديم، وثانيًا: على اهتمامك بهذه القضية، أما أنك تسألنى عن واقعنا الثقافى فإنك تثير فى نفسى شجون كثيرة أو كما يقولون: إنك «تقلب المواجع»..

واسمح لى فى البداية - وهى ضرورة - أن أتناول الثقافة بالتعريف، فمن وجهة نظرى الثقافة بمعناها الواسع تعنى:

الكتاب - الصحيفة - المسرح - السينما - الموسيقى - الإذاعة المسموعة والمرئية..

والثقافة تعنى مثل هذا أعْلامٌ فى موضع الريادة والقدوة، إنها تعنى احترام المعرفة فى شتى ألوانها...

لقد تخطى المتقدمون المقولة «علمى وأدبى» فأصبح الإنسان عندهم يتلقى الثقافتين بما فى الآداب والفن من صقل عقلى ونفسى وروحى ووجدانى؛ وبما فى العلوم من حاسة الضبط والقياس والتقنين والتنظيم والموضوعية... والسببية التى تغيب فى كثير من الأحيان عن تفسيراتنا للأشياء والأحداث..

والثقافة تعنى العناية والرعاية الحميمة للدين والقيم والتراث والانتماء والإحساس بالناس والأشياء..

الثقافة ارتفاعٍ يرفض الاتضاع.. يقظة روح وضمير ومشاعر..

الثقافة معناها فن الحياة.. رهافة الحسّ، احتفال واحتفاء بالكيف قبل الكم... والثقافة معناها موقف؛ المثقف الحقيقى موقف؛ قد يكون عالمًا وقد يكون أديبًا...، ولكن قبل هذا كله المثقف الحقيقى موقف؛ فما خيرٌ لأمةٍ يكون الإنسان فيها واجدًا ويكون وطنه فاقدًا ولو حفنة تراب..

الثقافة الحقيقية تعين عليها القاعدة الشرعية التى تحتم على أولى الأمر فى كل بلد الكفاية وليس الكفاف...!!

والكفاية تعنى المستوى اللائق فى الحياة.. من حيث المسكن والمأكل والملبس والتعليم والترويح، حتى يستطيع المرء أن يخلو.. فيوجه إلى العلم والفن فى شتى مجالاتها وكل ميسر لما خلق له..!!

أما المكروب والمحروب فهيهات أن ينعم بالثقافة، فالإمام الشافعى يقول: «لا تستشيروا من ليس فى بيته دقيق، فإن عقله غـائب»، وقد يكثر الدقيق.. والدقيق هنا رمز للضروريات جميعًا...، قد يكثر العرض ولكنه يعز على طاقات الغالبية.. أو بمعنى آخر: قد يوجد المال – لعوامل كثيرة يطول شرحها – فى أيدٍ لا تحسن استخدامه، وهنا تهبط الثقافة، أى يهبط الفن بألوانه، ويهبط الأداء فى كل شىء ويتسـطح فلا يؤدى ولا يغنى.. ولا يمتع.. ولا يروق.. ولا يشـوق.. وبالتـالى لا يبقى..!!، يصبح كل شىء «كلينكس» يستعمل لوقته ويلقى..!! بينما الفن الحقيقى يزداد قدرة على العطاء والإمتاع كلما تأمله رائيه أو سامعه، وهذا ينطبق على: الكتاب، الفيلم، الموسيقى، الغناء.. إلخ.

إننا نحتاج إلى إعادة صياغة فى كل شىء إن كنا جادين فى مواكبة الحياة المتحضرة والناضرة..

■ د. نعمات أحمد فؤاد: بعد هذه المقدمة الضافية، وقـد طرحتم فيها مفهومكم للثقافة بمعناهـا الواسـع.. الكتاب والفيلم.. وهكذا.. وأطرح عليكم جملة أثارها الأستاذ يحيى حقى فى حديثى معه يقول فيها:

«الكتاب هو عمدة الثقافة»

والسؤال.. كيف تـرين واقع الكتـاب المصرى الآن.. وكيف يمكن الارتفاع به إلى وضع أفضل..؟

● أولاً: الكتاب المصرى يمر بمحنة داخلية، بمعنى أنه يحتاج إلى دعم وهو عندى أهم من رغيف الخبز وليس كرغيف الخبز فحسب... فليس بالخبز وحده يعيش الإنسان، فإذا كان الجسم يحتاج إلى غذاء فإن العقل أيضا يحتاج إلى غذاء، والإنسان ليس جسماً فحسب، ولكنه روح وعقل وإحساس ومشاعر وذوق وطموح..

إذن الكتاب يحتاج إلى دعم داخلى... ويحتاج إلى تربية خاصة تعطينا إنساناً يحب القراءة ويسعى إليها..!

وحتى التعلل بارتفاع سعر الكتاب ليس كل شىء فى نظرى.. فقد كنا صغاراً نمضى فى دار الكتب ساعات طويلة نقرأ ونلتهم الكثير من الكتب.. ودار الكتب لا زالت حية وهى لا تحتاج إلى أموال مهما كان سعر الكتاب..!!

أما المحنة الخارجية: فهى أن الكتاب المصرى - رغم كل ما يحيط به - فإنه ما يزال هو الرائد وهو القمة، والعالم العربى كله.. إذا كان هناك كتاب مترجم أقبلوا على ترجمة المصرى، وإذا كان هناك كتاب مؤلف أقبلوا بالدرجة الأولى على كتاب المصرى، وهم يعلمون معنى مصر حين تعطى وحين تؤدى..

ولكن المشكلة أن الكتاب المصرى معرض للنهب والسرقات والتزييف والاتجار به... وأنت تعرف ما أريد أن أقوله، والعالم العربى كله يعرف ما أريده من هذه العبارة.

والكتاب المصرى لا تحميه الحكومة - للأسف -، ولا اشتراكنا فى حماية حق المؤلف يحمينا..!! والنتيجة أن الكتاب المصرى يزيف ويحرف،

ثم ذلك الروتين الحكومى البطىء.. فإذا بدأ فى الحركة.. يكون الكتاب قد سرق وزور، وتم تصويره وتسويقه وقد مررت شخصياً بهذه المحنة :

كتابى عن أم كلثوم زُيِّف وسرق ورفع اسمى عنه ولم يكتب عليه اسم الناشر حتى لا أقاضيه..

وصدر الكتاب بدون اسمى وبدون دار النشر.. !!

إنها قرصنة وسرقة لجهد موصول الأيام والليالى لمدة سنة بل سنوات، بذلت فيها الجهد والعرق ونور العين.. !!

وانظر.. أى ألم أشعر به وأية مرارة أستشعرها حين تضيع من عمرى ست سنوات فى كتاب يسطو عليه لص..!!؟ إنها سنوات من عمرى تُزيَّف..

> أستاذنا نجيب محفوظ عند حوارى معه قال لى: حين كنت أكلم ناشرًا لبنانيًا وأقول له: لماذا فعلت هكذا فى قصصى.. (يقصد سرقتها) فيقول له الناشر اللبنانى.. ألا يكفيك أننى أنشرك..!؟

وتعلق الدكتورة نعمات على هذا الموقف بقولها:

يعنى يبدو الناشر متفضلاً..!! فأية محنة يمر بها ليس الكتاب المصرى فقط، بل أية محنة يمر بها الكاتب المصرى..!!

■ والحل؟

أدعو حكومتنا إلى أن تحمينا بإصدار قوانين عاجلة سريعة بتسويق الكتاب المصرى وتسهيله حتى لا يلجأ العالم العربى إلى غير مصر، وحتى

لا يضيع حق المؤلف.. ولذلك لابد أن نشارك في حماية حقوق المؤلف العالمية..

■ د. نعمات فؤاد.. ربما في لحظة غضب أشرت في أحد مؤلفاتك إلى أن وزارة الثقافة تقصر في حق الثقافة.. ولا تقوم بعملها كما يجب.. أو تتكاسل عن أداء رسالتها..! وتساءلت أين وزارة الثقافة وآثارنا تسرق وتهرب؟

وأين وزارة الثقافة فيما نراه الآن من هبوط في السينما والمسرح..!؟ فهل يا دكتورة ما زلت عند هذا الرأى؟ وهل فعلاً ترين وزارة الثقافة لا تنهض برسالتها..!؟

■ نعم.. ما زلت عند هذا الرأى وأعمق أيضًا.. لأن يكفى ما نراه من إهمال وانحسار وانحدار يحدث للآثار وهى عمر أمة على الزمان.. الا

يكفى أن أقول لك إننى مررت بمأساة هضبة الأهرام من جديد..!! مرة أخرى..!!، وفى المرة الثانية هذه كان المشروع الذى طرحته وزارة الثقافة أسوأ.. وأردأ.. وأخطر من المشروع الذى عرضه القراصنة الأجانب فى المرة الأولى..

ومشروع وزارة الثقافة يريدون بناء سور فى حضن أبى الهول..!!... سور يتسع لـ ١٧ ألف متفرج...، سور رومانى.. أمام طراز فرعونى كى يتمتع الناس بـ «البانوراما» طوال اليوم..!!

ولم تحسب وزارة الثقافة حسابًا لـ ١٧ ألف نسمة كيف يقضون يومهم..؟ ماذا يأكلون؟ ماذا يشربون؟ وأين الحمامات؟ وكيف يدخلونها طوال اليوم؟

كيف يحدث هذا.. ومنطقة الأهرامات إحدى المناطق الستة فى مصر التى اعتبرها اليونسكو تراثا عالميًا.. ملكًا للبشرية.. للإنسانية.. مهمة للإنسان فى كل مكان..!!

ولا تدرى وزارة الثقافة بكل هذا.. وتريد أن تقيم طرازًا رومانيًا أمام الطراز الفرعونى..

وأذكر وزارة الثقافة أن قانون الآثار الذى يجب عليها أن ترعاه وتنفذه لأنه صادر عام ١٩٨٣ وقبل هذا العهد الحالى لوزير الثقافة..!![1]

القانون ينص على أن «الأثر يساوى الأثر + حرم الأثر» ويعرف القانون حرم الأثر بقوله:

يحرم البناء فيه، أو الزراعة فيه، أو تغيير معالمه..

والواضح من مشروع وزارة الثقافة أنها تريد أن تبنى وتزرع وتغير المعالم وهى المنوط بها الحفاظ على الآثار وتنفيذ القانون الذى يمنعها من كل هذا..!!

وقمة التخلف فى المشروع الذى تطرحه وزارة الثقافة أنها تريد عمل سور وفى السور بوتيكات..!!

وأسأل لماذا لا توجَّه هذه الأموال التى يريدون بناء السور بها إلى إنشاء قرية بديلة لنزلة السمان..!!؟ وبها محلات سياحية ولكن فى طريق مصر الفيوم الصحراوى أو مصر اسكندرية والصحراء واسعة..

لكن الأثر يجب أن أحترمه وأخلى ما حوله لتتفرغ العين إلى تأمله والإحساس به، أنا لا أريد أحدًا يزاحمنى فى الأثر إننى أريده وحده

---

(١) سُجِّل هذا الحوار فى ١٩٩١م

لتتملاه العين ويسافر بداخلى ويسافر فىّ هذا معنى الأثر.. إنه عمر أمة على الزمان.. إنه أعمار.. وأجيال فنيت حتى أقامته.. برموزه ودلالته.. وبقدرته على ارتفاع مستوى التشكيل والتصوير والفن.. كل هذا وأقوم بعمل بوتيكات إلى جواره.. هل هذا معقول..؟ بوتيكات وسور عند الهرم الأكبر وعند أبى الهول..؟ هل يعقل؟

■ د. نعمات أحمد فؤاد: إن وزارة الثقافة معنية بالحفاظ على آثارنا كما هى معنية بثقافة مصر جميعًا.. وحتى نصحح المسار.. هل المشكلة فى هذه المشروعات المطروحة ناتجة عن أن الوزارة لا تستعين بخبراء فى المجال..؟ هل سطوة الموظف البيروقراطى فوق رأى الخبير؟.

إننى أحب إذا طرقنا مشكلة أن نذكر الحل فذلك أمر ضرورى، ليس المشكلة فى عدم الاستعانة بخبراء فى وزارة الثقافة..!! وخذ مثلا هذا المشروع الذى ذكرته لك عارضه جميع خبراء الآثار..

عارضته نقابة المهندسين، عارضته جامعة القاهرة، وجامعة الاسكندرية، وجامعة عين شمس ثم سائر جامعات مصر ضد هذا المشروع.

كما عارض هذا المشروع المجالس القومية المتخصصة، عارضه المجلس الأعلى للثقافة التابع لوزارة الثقافة..!!

عارضته جميع الهيئات العلمية فى مصر.

وكان رد السيد الوزير: «إننى خريج فنون وهذا عمل فنى» فإذا

بكلية الفنون الجميلة فى الزمالك تعلن رفضها لهذا المشروع ويليها كلية التربية بجامعة حلوان.. !!

ثم يقول: أن أحضر «حد» من اليونسكو؟

وأقول له: هل اليونسكو وصية على مصر!؟ ومع هذا حين جاء البعض وقال إنهم من اليونسكو فإننى على الفور أرسلت إلى مدير اليونسكو أسأله.. من هؤلاء!؟

فقام مدير اليونسكو بالرد «والفاكس عندى» -وقال هؤلاء لا يمثلون اليونسكو، وليس اليونسكو مسئولاً عنهم.. !! ونحن لا نقر المشروع..

ثم الآثار ليست ملكًا لموظف ولا للسيد الوزير ولا لرأى مخلوق.. إنها ملك أمة.. ضمير أمة.. عمر أمة.. بكل أجيالها..، ونحن مجرد حراس عليه حتى نسلم الراية لمن بعدنا.. !!

■ د. نعمات أحمد فؤاد: لو غادرنا قليلًا قضية الآثار - وهى جزء من تراثنا الثقافى ولا شك فى هذا - إلى رافد آخر من روافد الثقافة أشرتم إليه فى بداية إجابتكم على سؤالى السابق إلى مشكلة سرقات الكتب والمؤلفات وضربتم مثلًا بكتابكم عن أم كلثوم.. وهذا يجرنا إلى الرافد الجديد بثقافتنا وهو «**الأغنية**»، وحال الأغنية فى مصر الآن فى وضع سيىء للغاية..!!، فنحن نسمع أصواتًا غريبة، وكلمات غير مفهومة، وألحانًا متشابهة لا معنى لها.. ولا تعلق بالأذن..، ولا يخفى عليكم دور الأغنية فى تثقيف الشعب.. فأم كلثوم جعلت رجل الشارع العادى يعرف

أحمد شوقى والبوصيرى والهادى آدم - جعلت الرجل الأمى يغنى بالفصحى ويعرف محمد إقبال وإبراهيم ناجى والسؤال:

ما الذى يجب عمله لحل مشكلات الأغنية والارتفاع بها وما دورها في «التركيبة الثقافية»؟

● أفلاطون يقول: «إن دلالة أغانى أية أمة لا تقل أهمية عن دلالة القوانين فيها»، وأم كلثوم ارتفعت بالأغنية، لأنها عاشت فى عصر القمم، كان هناك قمم فى الأدب.. شوقى وحافظ والعقاد والمازنى والزيات وطه حسين، وكان هناك قمم فى السياسة..!!، وكان هناك قمم فى الطب..، وقمم فى العلم، وقمم فى الدين..!! كانت الحياة مليئة بالقمم تؤثر وتتأثر..

كل هذا يعطى عطاءه للحياة العامة، فيرتفع بالناس من الوهاد إلى القمة..، ويرتفع بهم من السفوح إلى أعلى القمم..

وانظر أم كلثوم غنّت كلمات من تأليف مَنْ؟ شوقى، حافظ، الجارم، رامى.. إنه ارتفاع.. ارتفاع.

وأم كلثوم حين سألوها.. أى شيء أهم.. الكلمة أم اللحن أم الصوت؟

فقالت أم كلثوم بذكاء: الكلمة أهم..!!، لأنها إذا ارتفعت ارتفع اللحن وارتفع الأداء بالصوت..!!

وأم كلثوم صاحبة الصوت الماسى.. الفريد.. الذى يندر أن يتكرر.. لم تقل الصوت..!! وإنما الكلمة أهم..

وأنا أسأل الآن : لكى نرتفع بالأغنية المصرية :

أين هؤلاء الآن.. ؟ أين أصحاب الكلمة ! ؟ ثم الآن المقياس هو « الفلوس » .. فى كل شيء .. إنها مشكلة المشاكل .. وعلى حساب الإبداع الحقيقى ..

انظر إلى العقاد كان إذا ذهب إلى أسوان يسعى إليه محافظ أسوان، ويسعد بالجلوس على حصير فى حجرة العقاد.. يكفى أنه يجلس أمام العقاد..

الدكتور زكى نجيب محمود وهو أستاذ الفلسفة بجامعة القاهرة يسعى إلى مجلس العقاد.،. مجلس التلميذ من الأستاذ والعقاد ليس عنده شهادات.،. ولكنه بالموهبة وبالفطرة وبزراعة النفس.. لقد زرع نفسه.. وكان العقاد عملاق الفكر العربى.. وكنا جميعًا فى مجلسه ننسى الشهادات، بل يحلو للشهادات أن تتواضع فى مجلس العقاد، وفى زمن العقاد ما كان لأغنية رخيصة أن تجرؤ على الظهور أو يستمع إليها الناس.. !!

إن ما نسمعه الآن أسميه أغانى «كلينكس» تستهلك فى وقتها ولا تعيش أكثر من عمر منديل الورق.. !! إنك تسمعها وتلقى بها فورًا بدليل أنه حتى الآن لم أجد أغنية ولا لحنًا باقيًا، فى حين أنك تنظر إلى أغانى أم كلثوم أو عبد الوهاب فتعرف من اللحن أن هذه «الهمزية» وتلك «الجندول» وهذه «الكرنك».. إلخ.

■ والحل يا دكتورة؟ كيف ننهض بالأغنية؟

● الحقيقة ليست المشكلة فى الأغنية فقط، إنها فى مجالات كثيرة وأتمنى أن

نضع مشاكلنا جميعًا على مائدة واحدة، يحيط بها الأفذاذ والمختصون من كل نوع حتى لا يتعارض حل مع حل أو يناقض حل آخر..،

ولعل أول شيء نهتم به للخروج من مشاكلنا هو «التعليم».

أما ما نراه الآن فى مصر فهو «تعليب» وليس تعليم، إنه تلقين.. وليس تقييم وليس تفكير.. وليس تقدير.. !!

إننى كنت فى أية زيارة لى لأية دولة أول شيء أطلب زيارته هو «الحضانة» لأعرف كيف يكون التعليم... !!

إن مفتاح الحل لمشكلاتنا جميعًا ومنها الثقافية هو الإنسان، وهو ثروة فى مصر.. والإنسان المصرى إنسان ذكى.. عبقرى.. ولكن لكى يعطى العطاء الأفضل لابد أن يُقَدَّر..، ولابد أن نهيئ له المناخ الملائم..، وأن يوضع فى المكان الصحيح.. إن مصر ليست فقيرة.. إنها أرض الكنوز فى كل شيء فى الأثر..، فى البشر..، فى النيل.. !!

إن مشكلة التعليم هى الأصل والأساس فى حل مشكلاتنا لارتباطها بالإنسان، وكل خلل فى العملية التعليمية ينعكس على بقية المجالات ومنها الثقافة..

■ إذن فأنتم لا تعترفون بأن الإمكانات المالية ليست سببًا فى ضعف الثقافة أو بمعنى آخر: إن مصر غنية وليست فى أزمة.. وإن كانت فالأزمة مفتعلة ولا تسبب خللاً ثقافيًا.

● أكرر مصر ليست بلدًا فقيرًا وأبناء مصر يتبوأون الصدارة فى جميع دول العالم.. المصرى يبدع إذا هاجر أو سافر وهو قادر على الإبداع فى

بلده والحل إصلاح التعليم.. واكتشاف النوابغ والعباقرة واهتمام الدولة بهم.

إن التعليم بوضعه الحالى يقتل الإبداع ويميت المواهب.. !!

■ د. نعمات أحمد فؤاد أشرتم إلى نقطة هامة وهى بالفعل حجر الزاوية - كما يقال - فى حل بعض مشكلاتنا الثقافية وهى إصلاح التعليم من الحضانة للجامعة، فهل نعطى هذا الحل الأولوية على ما عداه.. بمعنى هل يمكن القول أن الاهتمام بالمشكلة الاقتصادية الآن على أعلى المستويات فاته أن مشكلة التعليم هى الأهم وأنه بإصلاح التعليم نصل إلى الإصلاح فى جميع المجالات ومنها الاقتصادى.. !؟

● .. «آلدس هكسلى» ينادى بأن يكون التعليم مراحل.. مراحل يعنى مثلاً المرحلة الأولى يسميها التشكيل..

ثم المرحلة الثانية تكون حسب الموضوعات.

● مرة موضوع الحيوان فيعرف الطفل بالحيوان فى شتى صوره.

● مرة موضوع الآلة فيعرفه بالآلة فى جميع أشكالها... وهكذا.

أما التعليم عندنا فهو حشد موضوعات أجهد بها الطفل وأجهد طفولته ولا يتعلم شيئاً.. !!

لابد من تغيير التعليم من الأساس.. لابد.. إن الوزارة الآن تشغل نفسها بقضايا غريبة مثل فترة صباحية.. فترة مسائية.. فترة واحدة.. !!، ضم سنة، إضافة سنة.. !! كله غلط.. ولابد من تغييره.

إن مناهج التعليم تحتاج إلى ثورة كاملة.. إعادة صياغة وفقًا للأصول التربوية والنفسية واحتياجات المجتمع.. ولابد من اجتماع المختصين فى كل مجال، ثم تصاغ مناهج التعليم على وعى وعلى بصيرة.. ومن الآن.. فقطار الزمان يمضى.. وركب الحضارة يمر سريعًا..!!

أنا.. «موجوعة» من التعليم ونظام التعليم فى مصر..!!

إننا لا نعلم الطفل فن القراءة.. كيف يتعامل مع الكتاب؟

كيف يعيش معه وبه..!!

● جزء من التعليم أن نخرج إنسانًا يعلم نفسه إلى آخر يوم فى حياته..

■ د. نعمات أحمد فؤاد.. قبل أربعين عامًا كان الكتاب يتربع على عرش الثقافة بدون منازع.. أما الآن فقد دخل فى مجاله الكثير من الوسائل التى تقدم الثقافة للناس ومنها وسائل الإعلام الراديو والتليفزيون والفيديو والسينما والكمبيوتر..!!

هل تعتقدين أن الراديو والتليفزيون كليهما يقوم برسالته فى تقديم الثقافة الحقة إلى الناس؟

● فى تقديرى أن بعض البرامج الإذاعية تؤدى مهمتها بشكل معقول، وهذا من الإنصاف، أما القول بأن الإذاعة ببرامجها لا تؤثر فى الثقافة فهذا يجانب الانصاف..

بينما هناك الكثير من البرامج تقدم الثقافة بشكل «مسطح».

ولكن مهما كانت برامج الإذاعة المسموعة أو المرئية جيدة فإنها لن

تنافس الكتاب.. سيظل الكتاب سيد الموقف ويظل للكلمة المكتوبة أهميتها وقدسيتها وخطورتها.. فالكاتب يمكنك أن تعود إليه وتعيش معه وتستمتع به.. والكلمة المسموعة ليس لها نفس سحر الكلمة المكتوبة الذى لا يضارع.. !!

ويكفى أن الله سبحانه قال: ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾

■ الأستاذة الكبيرة د. نعمات أحمد فؤاد..

فى ظل أزمة اقتصادية نعيشها هل يمكن أن يكون هناك تقدم.. ارتفاع إلى الأفضل فى واقعنا الثقافى؟

● أولاً أنا لا أومن بأننا نعيش فى أزمة اقتصادية.. ما نراه فى مصر ليس مشكلة اقتصادية، إنه أزمة أخلاقية سلوكية.. وليست اقتصادية..

مثلاً لو أعطيت إنساناً غير رشيد أو غير أمين كنوز الأرض جميعًا سوف يبددها ويصبح فى أزمة اقتصادية..

لو لدينا أزمة اقتصادية ويستشعرها الجميع حكام ومحكومين، فإننا لن ننفق مليما واحدًا على المظاهر الكاذبة.. ولا ننفق جنيها واحدًا هدرًا، ولكن انظر.. سوف نجد ملايين تنفق هدرًا ولهذا.. عفوًا لا تقل لى أزمة اقتصادية. إنها أزمة ضمير.. نعم، أزمة تصرف.. نعم..

ثم ذلك الإنسان المصرى الذى يرون أنه سبب وسر الأزمة.. (الزيادة السكانية) إننى أرى أنه يمكن أن يكون عدة لا شدة.. قوة.. لا ضعف.

ثم اليابان ماذا عندها مما هو فى مصر.. !؟

عندها الإنسان.. والإنسان فقط وبه الآن اليابان تنافس أمريكا..

اليابانى لحبه لبلده لا يمل من العمل.. ورئيس الحكومة يرجو الشعب أن يستريح من كثرة حب الناس للعمل..!! فأين نحن؟ ومصر عندها فوق الإنسان.. لديها أرض غنية بالمعادن ونهر أطول أنهار العالم، وحضارة السنين وإنسان ذكى، وعندها الأديان.. إلخ.

ماذا عند اليابان مما عند مصر؟!

ليس إلا الإنسان لدى اليابان وتعدادها يفوق تعداد مصر.. لقد قلبوا الشدة (أقصد الزيادة السكانية) إلى عدة يواجهون بها الولايات المتحدة..

■ أرى الدقائق تتفلت من يدينا، والوقت يمر سريعًا وحرصًا على وقتكم أكتفى بهذه الدقائق أملاً فى فرصة أكبر نتواصى فيها بالعمل، ونعمل فيها عقولنا من أجل الحبيبة مصر..، وفى النهاية، الأستاذة الدكتورة نعمات أحمد فؤاد، لكم التحية على هذا الوقت الذى سمحتم لنا به من وقتكم الثمين.

مع عبد الرحمن الأبنودى

الأبنودى شاعر العامية المصرية، صاحب القصائد الطوال، المتحدِّث باسم جماهير الشعب. قصائده الناقدة تترجم أحاسيس الناس، وتعبر عن أفكارهم فى كثير من المشكلات التى تواجههم. منعت قصائده، ثم سمح له.. مدٌّ وجزر حسب علاقته، وحسب مساحة الحرية المتاحة، وحسب سعة صدر الحاكم تجاه النقد.

● الشاعر الأستاذ عبد الرحمن الأبنودى.. تواجه حياتنا الثقافية مشكلات متعددة، اختلف كبار مفكرينا فى تحديدها وتصنيفها.. ترى فى رأيك ما أهم المشكلات التى تواجه ثقافتنا الآن؟

– أولاً: غياب النقد، ولا يمكن أن يزدهر الإبداع وتروج الثقافة بدون النقد البناء، النقد الواعى، فنحن نحتاج إلى نقاد يكشفون للناس جماليات الأعمال الفنية، من قصة وقصيدة، وفيلم، ومسلسل.. إلخ.

أما السائد الآن فهو صحافة النقد، بمعنى هناك صحفى وليس ناقد، والصحفى قد يمدح، وقد يقدح لكنه لا يغوص داخل العمل الفنى؛ لأنه ليس مؤهلاً لهذا؛ بل لم يفسد أحدٌ على المثقفين ثقافتهم سوى الصحافة، وهؤلاء الذين يسمون أنفسهم «الناقد الصحفى» – وهم كثير – ولكن فى ميزان النقاد أقول: لا يساوى شيئًا.

● أستاذ عبد الرحمن.. أى أنواع من النقد تريد؟

- النقد فى نظرى ليس ظاهرة ثقافية تتناولها وسائل الإعلام، لكن النقد فى نظرى إبداع، والناقد لا يقل عن المبدع أبدًا، لأن عملية النقد نفسها هى عملية إبداعية، وبالتالى فإن الناقد يُبصِّر المبدع بجوانب قد تخفى عليه فيما يقدم من أعمال. والناقد «كالجواهرجى» يميز بين الصالح والطالح، ويعرف قيمة كل معدن من الإنتاج المطروح بالساحة الثقافية.

● الشاعر عبد الرحمن الأبنودى.. ربما كان الشعر والأغنية من الفنون الأدبية المتأثرة بالنقد والمؤثرة فيه فى وقت معا؟ وبما أنك من الشعراء الذين لهم إسهامات فى المجال؟ كيف ترى أثر النقد على هذين الفنين؟..

- أنا حزين لحال النقد والنقاد الآن، وكما قلت فى سؤالك فإن الشعر والأغنية هما أكثر الفنون تأثرًا بهذا، بل أقول بصدق إنهما يمثلان أزمة النقد عندنا. وإذا أردت أن أقدم لك الدليل فيكفى أن تسير فى العتبة وتسمع شرائط الكاسيت وأغانى « السحّ الدّحّ »، و« كوز المحبة اتخرم »، لو أن هناك نقدًا حقيقيًا يؤدى دوره، ونقادًا بمعنى الكلمة، ما كان لهذه الأغانى أن تروج، وما استطاعت أن تجد من ينظر إليها لا أن يسارع فيشترى. غياب النقد لازمة غياب الذوق والتذوق، فلم يعد هناك ذوق فنى عام :

● الأبنودى شاعر العامية.. وهناك رؤيا لدى كبار نقادنا، هناك موقف من العامية - شعرًا ونثرًا - و كل ما أبدع الأبنودى من أغانى وأشعار كانت بالعامية، فهل موقفك من النقاد نابع من موقفهم من رفض العامية لغة للإبداع ؟

- أبدًا العامية لها جمهورها، ولها من يتذوقهـا وينفعل بهـا وإذا رفضنا العامية فنحن كالنعامة نواجه المشكلة بدفن الرأس فى الرمال.. العامية الآن لغة أدب ولها جمهورها فى العالم الثالث، فى مجال الشعر مثلاً ألاحظ منذ ظهور حركة شعر العامية من أوائل الخمسينات وحتى الآن لم يقوم التقويم الصحيح، ولم يوضع شعر العامية فى ميزان النقد سلبًا أو إيجابًا مع أو ضد بصورة جـادة.. اللهم إلا بعض اللفتات المتفـرقة فى أحـاديث صحفية هنا أو هناك، ولم يخرج ناقد ينطلق بموضوعية نحو شعر العامية ليشرح لنا هذه الظاهرة الهامة، إنما هناك رفض من قبل مسبق.

هل سمعنا عن ناقد كبير تفرغ لقراءة شعر العامية ثم خرج علينا وقال: «إن هذا لا يساوى..» أو «إنه يحتاج إلى كذا..» أو «إنه لا قيمة له..».. لم يحدث، ولذلك فإننى أظن أن النقد تخلى عن دوره حين تخلى عن متابعة شعر العامية.

● يعنى المشكلة هى غياب الناقد الجاد المحايد، وغيـاب الحركة النقدية فى مجال شعر العامية؟

- نعم.

● ولماذا لا تكون المشكلة فى غياب النص الجيد الـذى يدفع الناقد دفعًا إلى تناوله، فأنا أظن أن لدينا نقادًا كبارًا، ولكنهم لا يتحمسون للأعمال المتواضعة؟

- لا.. لا.. النصوص موجـودة، ودواوين شعر العـامية الآن فى سنـة (١٩٨٣) تزيد على الثلاثين ديوانا، والوثائق تحت يدى وأيدى غيرى؛ لأن هذه الدواوين طبعت ولكن فعلاً هناك غيبة كاملة للنقد فى هذا المجال

لقطاع لا يستهان به هو شعر وشعراء العامية. وهو تقصير خطير له نتائج كبيرة تضرّ بالإبداع، وتقلل من الإقبال على إبداعات الشعراء.

● الشاعر الأستاذ عبد الرحمن الأبنودى.. فن آخر لك فيه نشاط واضح ملموس هو فن الأغنية، وقد أشرت فى بداية الحديث إلى ضعف مستوى الأغنية فى غياب الناقد وحركة النقد. فهل لهذا صلة بمشكلتنا الآن؟ أقصد هل ضعف مستوى الأغنية يؤثر فى حياتنا الثقافية هذا التأثير السلبى؟

- الأغنية إبداع فنى، والثقافة ليست كتاب فقط، وإنما هى مجموع فنون وأنشطة وعلوم، وتراث شعبى، والأغنية هى وسيلة التعبير عن ضمير شعبنا العربى فى أفراحه وأتراحه، ولك أن تنظر الآن إلى حال الأغنية، إنها جزء من أزمة الثقافة، إنها أسوأ حالاً من الفنون الأخرى كالمسرح أو السينما، لأنه لم تحدث حركة تقويم للفن المصرى للأغنية على الأقل خلال ثلاثين عامًا مضت، وترك النقد الفنى للأغنية لصفحات الفن فى صحافتنا، وأنا ما زلت عند وجهة نظرى، وهى أن الصحفى ليس مؤهلاً للنقد، وليس مجردًا من الهوى، لأنه ليس له أدوات الناقد، بل هناك العلاقات الشخصية، والمصالح والعلاقات المريبة، والدعاية والإعلان؛ فقد تقرأ مقالاً نقديًا لصحفى ما، فإذا به إعلان لـ (س.، أو ص) ولا صلة له بالنقد، ولا تجد فيه نقدًا يرتفع بمستوى الأغنية.

وأنا مسئول عن قولى هذا، وأكرر: إن ترك المجال فى هذا الجانب لهؤلاء، وإبعاد النقد عن الساحة، غلّب اتجاهات على اتجاهات أخرى:

وبالتالى ظهرت الاتجاهات المريضة بشكل أوسع من الاتجاهات الصحيحة أو الصحيّة التى تثرى الأغنية وترتفع بمستواها وتثرى حركة النقد فى نفس الوقت.

● الأستاذ الأبنودى.. هناك من يخاف النقد، وأراك تدعو إلى إحياء حركة نقدية قوية متخصصة، هل الحل فى مشكلتنا هذه هو أن نلتفت بشدة إلى النقد والنقاد بشكل يجعل الناقد مرشدًا للمبدع، معينًا للمتذوق، كاشفًا لجماليات الأعمال الفنية؟

– الناقد هو أفضل قارئ، هو أفضل مستمع، هو أفضل مشاهد، هو الذى يفتح عيون الناس على جوانب الجمال فى أعمالنا الفنية، وبدونه قد لا يدرك القارئ العادى أو المستمع أو المشاهد العادى هذه الجماليات. وقد لا يستطيعون التمتع بها، والناقد لا ينظر إلى العمل الفنى وحده بمفرده، وإنما ينظر إليه من خلال الحركة الفنية بشكل عام.

● لو انتقلنا إلى مشكلة ثالثة من مشكلاتنا الثقافية كما يراها الشاعر الأستاذ عبد الرحمن الأبنودى..، وهى مشكلة النشر.. ماذا نقصد بمشكلة النشر ولدينا كبريات دور النشر فى العالم العربى، وأكبر مطابع فى الشرق؟

– صدقنى هناك أزمة نشر شديدة جدًّا للمبدعين الشبان، فأنا أعرف الكثير منهم، وأعرف أن هناك آلاف الدواوين مخطوطة ولا يقبل الناشر بها، وهى أعمال جيدة، بل لماذا نذهب بعيدًا، تعال عندى أنا وأنا من المخضرمين.. من العواجيز.. واحد مثلى معروف للناس جيدًا، وأنت

تعرفنى وبينى وبينك حوار، ونختلف أو نتفق، ولكن لو سألتنى: كم ديوان لك فى السوق؟ كم قصيدة نشرتها؟ أقول لك بأمانة: «إن مجموع ما نشر من قصائدى حتى (١٩٨٣) لم يزد عن ست قصائد فقط نشرتها فى الصحف والمجلات المصرية طوال حياتى الأدبية، وأعتمد فى نشر أعمالى على دواوينى المطبوعة التى تجد إقبالاً من الناس. وعلى الرغم من شهرتى النسبية وأننى معروف لكثير من الناس إلا أننى لم أتمكن من نشر أشعارى، وهذا يترجم لنا أن هناك موقفًا من شعر العامية فى وسائل النشر. بل فى معظم وسائل الإعلام وفى نفس الوقت لم أقصر فى الاتصال بهذه الوسائل، فما بالك بالشعراء الجدد؟ هذه هى المشكلة.

● أستاذ عبد الرحمن الأبنودى.. حين قلت: حركة النشر ومشكلة النشر ظننتك تتكلم بصفة عامة وليس الخاص بشعر العامية منها، لأن شعر العامية لا يصلح مقياسًا للدلالة على وجود مشكلة نشر، لأنه فعلًا هناك موقف من شعر العامية، والكثير من النقاد لا يعترفون بالأدب العامى، ويرونه غير جدير بالتقديم إلى الناس.

- أنا معك فى أن هناك موقفًا يرى الفصحى - والفصحى وحدها - وهناك رفض للعامية من جانب كبير، ولكنهم لا يعرفون أن العامية أصبحت أكبر من أن ترفض، وأنها أداة تعبير أبلغ أحيانًا من الفصحى.

أما مشكلة النشر فهى فعلًا عامة، وبالذات نشر أعمال المبدعين الشبان. أنا أعرف أنك تكتب الشعر الفصيح، وتكتب القصة؛ كم قصيدة نشروها لك وأنت تعمل مذيعًا فى الإذاعة ولك اتصالاتك؟ كم جهة

وافقت على النشر؟ وليس هناك سبب سوى أنك من الأدباء الشبان.

● الحقيقة أن العامية إذا انتشرت فهى خطر على الفصحى لغة القرآن، وأن الفصحى فيها وحدة العرب والمسلمين، بينما العامية لغة محلية أو لهجة محلية، وإذا ساعدنا العامية فكأننا نساعد على عوامل الانفصال لا على عوامل الوحدة.

- أنا متهم بأننى ضد القومية فى اتجاهى نحو العامية، ومتهم بأننى خطر على اللغة العربية، ويروج لهذا كثيرون.. قلها بصراحة.

لكن أقول لك: اقرأ شعر العامية ستجد أنه من أكثر الفنون التى تدافع عن الوحدة، وعن القومية العربية. ثم إننى ألقيت أشعارى فى تليفزيون الكويت بالعامية، وكان هناك إقبال كبير وترحيب واسع بالعامية القاهرية المصرية التى يعرفها جميع العرب. وأقول لك: إن الصراع بين العامية والفصحى لم يحسم بعد، ولأنه لم يحسم فقد ساعد على ظهور الأزمة فى حياتنا الثقافية بشكل صعب يهدد ثقافتنا بالخطر والانقسام.

وأخيرًا أقول لك: اقرأ رواية لنجيب محفوظ أو يوسف إدريس، ستجد أن شخوص جميع هذه الروايات يتحدثون العامية، ولم يتهم واحد منهما بأنه ضد القومية أو ضد الفصحى.

● هل ترى أن ثمة علاقة بين مشكلات النشر والرقابة على النشر؟

- لقد أثرت مشكلة كبيرة، وأنا لا أحب أن أتكلم، فقد حاربتنى الرقابة

كثيرًا، ومنعت الرقابة صوتى من الوصول إلى الناس فى كثير من الدول العربية. إن محنة الثقافة العربية هى الرقابة. والحديث فيها إنما يحدث حساسيات، أنا وأنت فى غنى عنها الآن، وخاصة فى ظل هذه المساحة المحسوبة من الحرية التى نتمتع بها الآن.

ولكن تأكد أن الرقابة على النشر والرقابة على وسائل الإعلام قتلت الإبداع، ووقفت بالمرصاد للمبدعين والمجددين.

● أعتقد أن الرقابة هى نوع من الحماية، وهو دور الدولة وجميع دول العالم فيها هذا النوع من الحماية بشكل أو بآخر.

– لا يا سيدى.. الرقابة معناها أن هذا الشعب قاصر لا يعرف ما ينفعه أو يضره، وأن الرقيب هو ولى الأمر الذى يحدد ما ينفع وما يضر، وما يجوز وما لا يجوز.

وقد يكون الرقيب دون المستوى فيقف حجر عثرة فى طريق أعمال ممتازة قد تهم فى إثراء حياتنا الثقافية.

الرقابة هى الرقابة مهما كان شكلها، وأنا لا أريدها لأنها حجر على العقل والإبداع، وتأكد أن الهواء النقى – أقصد الحرية من أى شكل من أشكال الرقابة – هى الضمان الوحيد للذوق العام والارتفاع به، ولن يظل المواطن العربى صبيا صغيرًا تمارس عليه الرقابة دور الأب. وأنا أرحب بجو الحرية الذى نحياه الآن، والذى لولاه ما كان حديثك معى. وما استطعت أن تذيع كلمة منه فى الإذاعة المصرية.

عبد الرحمن الشرقاوى

إنه الكاتب الروائى الشاعر، صاحب الإسلاميات المتعدد الاهتمامات الأدبية والسياسية والفكرية... إنه عبد الرحمن الشرقاوى أحد المبدعين القلائل فى مصر الذين أجادوا شعرًا. ونذكر قصيدته إلى الرئيس الأمريكى «ترومان»، ونذكر كتابه الذى أحدث ضجة «محمد رسول الحرية»، ونذكر مسرحيته التى منعت ثم عرضت «الحسين ثائرًا».

عبد الرحمن الشرقاوى وجه نعرفه فى حياتنا الثقافية، ويطيب لنا أن نحاوره فى هذه الحلقة ليشخص لنا مشكلات الثقافة فى مصر، وظروف الأزمة التى نحياها فى حياتنا الثقافية.

● أستاذ عبد الرحمن الشرقاوى.. مرحبا وهذه البداية المباشرة معكم، إنك طبيب هذه الحلقة والمريض أمامك هو ثقافتنا الآن.

– الدكاترة يزعلوا.. بصراحة فى نظرى مشكلة المشاكل وقضية القضايا هى الأمية، وأنا أشعر بالعار كلما تكلمت فى هذا الموضوع.. شىء مفزع أن يكون لدينا هذا العدد من الخريجين يتسكعون ونحن لدينا هذه النسبة المفزعة من الأمية.

فى ظل الأمية لا تتكلم عن ثقافة، والأمية فى نظرى، ليست قضية

تعليمية فحسب، وإنما هى قضية ثقافية؛ فأنت لا تستطيع أن تطلب من شعب لا يقرأ ولا يكتب أن يكون شعبًا مثقفًا.. لا يمكن لسبب بسيط هو أن أم وسائل الثقافة الكتاب عمدة الثقافة - كما يقول أخى جمال بدران - والله هذا «مصطلح ممتاز»، وجمال بدران صاحب خبرة فى هذا المجال.. يا ريت تروح له وتسأله.

● ولكن أستاذ عبد الرحمن: هناك وسائل أخرى غير الكتاب لا يمكن أن ننكر دورها فى التثقيف وتتخطى حاجز الأمية هذا.

- هذه الوسائل لا يمكن أن تقوم مقام الكتاب أبدًا ثم انظر يا سيدى حال برامجكم الثقافية فى الشبكة الأمّ فى الإذاعة الرسمية، بل انظر إلى حالها فى التليفزيون.. مش ممكن أبدًا!

مشكلة الثقافة تتعلق أولا بمشكلة مزمنة، وما زلت أكرر أنها مصدر عار لنا جميعًا، وهى مشكلة الأمية، أغلب الشعوب العربية لا تقرأ ولا تكتب، ولست هنا أهاجم الحكومة، لأنها لا تملك عصًا سحرية، ولا يمكن للحكومة بمفردها أن تتولى حل هذه المشكلة، إنها تحتاج إلى جهود مكثفة يشترك فيها الجميع. محو الأمية يجب أن يكون مشروعًا قوميًا ولو أدى الأمر إلى إغلاق الجامعات والمدارس والمكاتب وتجنيد الشباب تجنيدًا كاملًا لمحو الأمية، والخلاص من هذا العار نهائيًا.

وليت الأمر يقف عند هذا النوع من الأمية، هناك أمية أشد وأخطر، وقد سمعتك مع الدكتورة نعمات فؤاد تتكلمون عن الأمية الثقافية.. أنا أحيى الدكتورة نعمات على هذا.

إن أمية المتعلم الذى يقرأ ويكتب أشد خطورة على حياتنا الثقافية. ونحن نعيش عصر الأقمار الصناعية والكمبيوتر والعقول الالكترونية. هؤلاء المتعلمون الذين لم يقرءوا لن تتصل حواسهم بمصادر الثقافة، وأنا أقول حواسه قبل عقله، لأن الثقافة فى أى دولة متحضرة زاد يومى لأبنائها.

● الأستاذ الكبير عبد الرحمن الشرقاوى.. كيف نجعل الثقافة زادًا يوميا؟ إنها مشكلة وحدها.

- نجعل الثقافة زادًا يوميًا برعاية أدوات الثقافة والاهتمام بها، وأولها الكتاب، ولا نترك الأمر لتجار النشر كما يقول الأستاذ جمال بدران. لقد وضع الرجل يده على كارثة هذا الزمان فى مجال النشر. كل يوم آلاف المطبوعات، ولكنها تافهة لا ترقى بالذوق ولا تضيف جديدًا سوى إشباع رغبات مسفة مقابل عائد مادى يعود على الناشر ولا يعود على القارئ بأية فائدة حقيقية.

ثم يأتى بعد الكتاب وتحريره من قيود التليفزيون والراديو، ثم المسرح والسينما.

كلها أدوات نشر من الممكن أن تكون أدوات ثقافة، وأدوات تدمير الثقافة فى نفس الوقت.

انظر إلى إذاعات وتليفزيونات الدول العربية! المفروض أن تكون أدوات تثقيف للمواطن، أدوات ترتقى بالوعى والفكر لدى المواطن؛ لأنها أدوات سهلة تتخطى حاجز الأمية كما قلت سيادتك. فهى لا تكلف مثل الكتاب مشقة، ولا أموالاً، ولا جهدًا. وأنت نائم فى فراشك تحصل

على الثقافة من الراديو.. هل أسهل من هذا شيء؟ ولكن متى يكون هذا؟ يوم أن يعرف الإذاعيون رسالتهم الثقافية، ودورهم فى قيادة الفكر والوعى فى بلادهم، وأنا أقول لك - وأنت إذاعى - كيف حال البرامج الثقافية عندكم، بل كيف حال البرامج الثقافية فى الإذاعات العربية، وأقصد بها برامج الثقافة العربية وليست المستوردة.

ثم هل يسمع الطفل العربى من صغره الموسيقى؟ وهل يغطى البرنامج الموسيقى أنحاء مصر؟ إنه لا يخرج من القاهرة. ومع هذا كم من سكان القاهرة يعود أولاده على سماع الموسيقى؟

● كيف تكون الموسيقى زاد يومى؟

- أن يكون الطفل منذ الصغر معتادًا على سماع موسيقى جيدة، والطفل بطبعه يحب الجمال ويطرب له، وأن نسمعه الموسيقى الهادئة المهذبة، وليست الموسيقى الصاخبة التى تسحق الأعصاب، والتى لا تعبر إلا عن نوع من هوس الحياة.

● أستاذ عبد الرحمن.. إنك بهذا تفتح ملفًا آخر فى القضية، وهو ملف الطفل، والقراءة لدى الأطفال، وسماع الموسيقى، وتذوق الأعمال الفنية. إن عالم الطفل فى مصر والبلاد العربية فى مآسى كثيرة.

- يا سيدى إن أطفالنا لا يقلون عن (٤٠٪) من السكان بأى حال من الأحوال، والميزانية المخصصة لثقافة الطفل لا تزيد عن (٢٪) فى أحسن الأحوال.. أنا أقول هذا الكلام ومسئول عنه، إنها كارثة قادمة، طفل لا يقرأ.. لا يتذوق.. لا يعيش ثقافة العصر. أنا خائف على مصر

إذا تولاها طفل جاهل من هذا النوع - فى يوما ما - مهما كان منصبه بعد ذلك.

إن المشكلة الرئيسية بعد الأمية هى الاهتمام بالطفل، وعدم الاهمال بالأطفال يضيف كل عام لنا أميين جددًا من المتسربين من المدارس. إنها حلقات متصلة، كل منها يؤثر فى الآخر.. إن المسرح له دور، فمسرح الطفل يفتح عين وأذن الطفل على أدب عالمى يجعله يتواصل معه، ويتصل به فى حياته المبكرة، فلا نقع فى المعضلة التى أثارها الدكتور زكى نجيب محمود، وهى التعصب للغرب، أو التراث، أو المزج بينهما. ولكنهم يا سيدى تركوا المسرح للتجار، وقد هجم التجار على المسرح بقصد الربح كما هجموا على الكتاب، وظهر المسرح التجارى الرخيص، وخاطبوا غرائز الناس. ومن هنا يعيش مسرح الدولة مأساة، والمسرح أبو الفنون، وقد شخص أخى نعمان عاشور حال المسرح تشخيصًا طيبًا أنا تابعت حوارك معه.. إن ظهور الكلمات المبتذلة والرخيصة فى المسرح جريمة لا يمكن السكوت عليها، فالمسرح له قدسية، والمسرح يساعد فى تكوين الذوق العام. وفى ظل هذه المسرحيات الرخيصة لا أمل فى ذوق عام رفيع يمكن القول معه أن ثقافتنا فى وضع لا بأس به.

ولك أن تعرف فى الوقت الذى ظهر فيه فى عالم المسرح عزيز عيد وسيد درويش، كان فيه حركة، فقد ظهر فى نفس الوقت طه حسين، وأحمد شوقى، والعقاد، والمازنى. أنا أعطى مثالاً فقط، ومع ظهور هؤلاء ظهر عبد الوهاب وأم كلثوم.. إبداع فى كل مجال من المسرح إلى السينما، إلى الأدب، إلى الموسيقى، إلى الأغنية. فالثقافة كل ميدان فيها يؤثر فى

الآخر ويتأثر به، فأم كلثوم رأت شعر شوقى فغنت ولد الهدى، ورأت شعر حافظ فغنت مصر تتحدث عن نفسها، ولكن ماذا رأى عدوية؟ ولذلك ماذا غنى عدوية؟

إنه مناخ عام، وثقافتنا فى خطر عند هذا الحد، فإذا أصاب الذبول فرعًا من فروع الثقافة فإنه يؤثر فى الفرع الآخر. إنها معادلة واقعية.

● وأنا أقول: رغم وجود الأمية فى هذه الفترة ازدهرت الثقافة مع وجود عمالقة قادوا حركة الثقافة فى مصر.؟

– أنا معك.. الأمية كانت موجودة أيام مسرح عزيز عيد، وأيام صراعات طه حسين والعقاد والرافعى، وأيام حافظ وشوقى، وأم كلثوم وعبد الوهاب. كان فيه أمية، ولكن كان هناك شيء غريب جدًّا، الأمى لم يكن يشعر بالأمية، لأن المتعلم كان يقرأ له الجرائد والكتب، وكثيرًا جدًّا تجد جلسات فيها واحد متعلم يقرأ من صحيح مسلم أو صحيح البخارى أو السيرة الهلالية وعشرات حوله يستمعون، ولكن الآن لا يحدث هذا لأن المتعلم لا يقرأ ولا يهتم بالقراءة، ولا وقت عنده يقرأ ليقرأ للآخرين.

أنا أريد أن أقول لك: إن أزمة الثقافة وأكرر أزمة متشعبة جدًّا ولها أطراف عديدة، ولكنها فى النهاية قضية واحدة ترتبط بالتطور التكنولوجى الحضارى بهذا العصر، وهو ما ننساه أحيانًا.

إن عصر هؤلاء العمالقة الذين تكلمت عنهم كان كل منهم يشبه مؤسسة ثقافية متحركة: العقاد كان يفتح بيته لجميع الأدباء والطلاب، كم مصرى يفتح بيته كالعقاد؟

طلعت حرب رجل اقتصاد، ولكنه فهم دور الثقافة، لقد أنشأ مطبعة ثم أسس بنكًا وطنيًا.. هذا للخلاص من رأس المال الغربى.. وهذا للخلاص من ثقافة غربية إلى الثقافة العربية.

وأنا أسأل أصحاب الملايين فى مصر، كم منهم أنشأ مطبعة؟ وكم منهم يراعى أن يخدم الثقافة لا أن يتاجر بالناس وينشر الهزيل للمزيد من المال.

الزيات أنشأ «الرسالة» كم مصرى فكَّر أن يفعلها كما فعلها الزيات؟

إن الاقتصاد فى مصر فى ذلك الوقت كان فى خدمة الثقافة وفى خدمة الإنسان.

الآن يا أخى العكس.. كل شىء فى خدمة الاقتصاد، والثقافة بدعة.. ترفيه. إنها مشكلة كبيرة، ويخطئ حكام عالمنا العربى إذا عالجوا المشكلات الاقتصادية بمعزل عن المشكلات الثقافية؛ لأن الاقتصاد نفسه تصنعه عوامل كثيرة منها الثقافة.

خاتمـة

وبعـد ..

فقد حرصت على الإلتزام بأقوال من استضفت من مفكرينا فى هذا البرنامج، وحرصت كذلك عـلى أن ألتزم الفصحى فى كـلام من تكلم بغيرها ورأيت أنه من العيب أن أناقش مشكلات ثقافتنا العربية بلهجة مصرية، وأنه ينبغى أن يتوحد الجميع على لسان عربى مبين.

وراعيت فى ترتيب هذه اللقاءات تسلسلها حسب إذاعتها لما حوته اللقاءات المتأخرة أحيانًـا من بعض إشارات إلى سـابقتها ولم يخضـع الترتيب لأى إعتبار آخر ..

ثم إنى رأيت أنه من مزيد النفع أن أضع هذه الأحاديث تحت بصر المسئولين عن ثقافتنا، لعلها تجد من يرخى فيها ولو نظرة عجلى تكون سببًا فى إهتمام ببعث حياتنا الثقافية من جديد.

والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل.

رقم الإيداع		١٩٩٣ / ٣٩٩٢
الترقيم الدولى	977 - 02 - 4064 - 8	ISBN

١ / ٩١ / ٤٤٠
طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)





لا أحد .. ينكر .. أن الثقافة العربية تمر بفترة عصيبة .. هى أشبه بالمرض الخطير الذى أدى بها إلى الهزال .. والوهن .

ولعل هذا .. ما جعلنا نعقد كونصلتو من أكبر المفكرين المصريين والعربَ لبحث سبل العلاج .. فماذا يقدم يحيى حقى وزكى نجيب محمود وسهير القلماوى وعز الدين إسماعيل وجمال بدران والأبنودى .. من الدواء .. لهذا الداء ؟!

العلاج فى صفحات هذا الكتاب .



